نظـــرة موجزة لاســهام التركستان الشرقيــه

في التاريــخ الاسـلامي

بقلـــم

د / محمد علـــي البـــار

بسم الله الرحمن الرحيم

نظره موجزة لاسهام التركستان الشرقية في التاريخ الاسلامى

جغرافية التركستان :

تمتد ارض التركستان من بحر الخزر (بحر قزوين او بحر جرجان او بحر كاكبيان ، او بحر الديلم او بحر جيلان او بحر باكو او بحر شروان على اسم المناطق التى يحاذيها) فى الغرب الى جبال التاى فى الشرق ·ومن خراسان وصحراء قره قورم فى الجنوب الغربى الى جبال الاورال وسيبيريا فى الشمال والشمال الشرقى ·

وتقع تركستان وسط آسيا وتحدها شمالا سيبيريا ومنغوليا وجنوب افغانستان وكشمير والتبت وشرقا الصين وغربا ايران وبحر قزوين·وتبلغ مساحة التركستان قرابة خمسة ملايين كيلومتر مربع وتنقسم الى قسمين :

١) التركستان الغربية :وتخضع لحكم روسيا وهى مقسمة الى خمس جمهوريات اتحاديه هى اوزبكستان وقازاقستان وقرغيزيا و تركمنستان وطادجكستان· ومساحتها ٤ر١٠٦ر٠٠٠ كيلومتر مربعا وسكانها اكثر من ثلاثين مليونا اغلبيتهم من المسلمين ·

٢) تركستان الشرقية :وتخضع لحكم الصين التى اسمتها سينكيانج أي المستعمرة الجديدة ·وتبلغ مساحتها ١ر٧١٠ر٧٤٥ كيلومترا مربعا· ويبلغ تعدادسكانها ١٥ مليون نسمه وقدتزايد العنصر الصينى بينما فرّ كثير من السكان التركستانيين الذين لم يلاقوا حتفهم من الاستبداد الصينى وخاصة اثناء الثورة الثقافية التى اقامهاماوتسى تونج ·

واغلب التركستان الشرقية صحارى وتنقسم أراضيها الى قسمين بواسطة جبال تنغرى الممتدة من هضبة باميير فى الشرق الى حدود الصين فى الغرب · ويعرف القسم الشمالى بحوض زونغاريا وأغلبه صحارى ومراعى ، بينما يعرف القسم الجنوبى بحوض نهر تاريم الذى ينبع من جبال قره قوروم ويصب فى بحيرة قره بوران · ونتيجة وجود هذا النهر الذى يبلغ طوله ١٦٠٠كم فان الاراضى المحيطة به خصبة وزراعية وتنتج بصورة خاصة القطن ·امابقية الاراضى

فهى مراعى اوصحارى جدبه .

واهم مدنها اربع : أورمجى(تيهوا) العاصمةوكاشغر ذات المجد الباذخوالتاريخ القديم وتدعى اليوم ستوفو، ويارقند وتسمى اليوم سوجى وخوتان وتدعى حاليا هوتين .

وقد عرّف ياقوت فى معجم البلدان التركستان بقوله (باختصار) : "تركستان هواسم جامع لجميع بلادالترك .. واوسع بلاد الترك قبائل التغزغز وحدهم الصين والتبت وقبائل الخرلخ والكيماك والغز والجفر والبحناك. والبذكش وخشقان وخرخيز(قرغيز) . واول حدهم منجهة المسلمين فاراب.قالوا ومدائنهم المشهورة ست عشرةمدينة والتغزغزفى الترك كالبادية ، اصحاب عمد يرحلون ويحلون .. والبذكشيه بلاد وقرى ".

ومن الواضح الجلى ان ياقوت كان يتحدث عن التركستان الشرقية اما التركستان الغربيةفلم يتحدث عنهاباعتبار ان الاسلام قد توطن فيها فى ذلك الوقت .

اما بارتولد فقد اقتصر فى تعريفه التركستان على بلاد ماوراءالنهر التى تشمل المنطقة الممتدة من حوض نهر امودار يا (جيحون) الى حوض نهر سردار يا (سيحون) . ولم يتعرض بارتولد للمناطق الواسعة الواقعه شرقى نهر سيحون(سردار يا) والتى تمتد حتى اطراف الصين والتى كان يسكنها الرعاة من بدو الاتراك، والتى كان الجغرافيون المسلمون يطلقون عليها اسم التركستان والتى تعتبر اليوم التركستان الشرقيه المسماه سينكيانغ ومع هذا فقد اعترف بارتولد بان اسم التركستان يقصد به بلاد الترك عامة ، اى الاصقاع المترامية الاطراف التى تمتد بين بلاد الاسلام ومملكة الصين (اى التركستان الشرقية) والتى كان يقطنها الرحل من الترك والمغول ..(١)

ولاشك ان بلاد مابين النهرين(سيحون وجيحون) قد اصبحت مسرحا لنشاط العنصر التركى الذى تفوق فى عدده وقوته على العنصر الارى.ثم جاء

---

١ - بارتولد ،فاسيلى فلادمير: تركستان من الفتح العربى الى الغزو المغولى اصدار المجلس الوطنى للثقافةوالفنون والاداب . الكويت ترجمةصلاح الدين عثمان هاشم. ١٩٨١ص ١٤٥ ومابعدها.

الاسلام ووحد تلك البلاد وانطلق العنصر التركى ليسيطر على تلك البلاد الواسعة المعروفة فيمابين النهرين - ولم يكتف بذلك ولكن سرعان ماسيطر تماما على مجريات الامور فى بغداد نفسها. وصارت له الغلبة فى كل ارجاء العالم الاسلامى منذ القرن الرابع الهجرى وحتى بداية القرن الرابع عشر الهجرى .

وخلال هذه القرون العشرة كان العنصر التركى القادم من ارض توران وبالذات ممايعرف اليوم بالتركستان الشرقيه هو العنصر المسيطر والذى انقذ الامة الاسلامية من الانهيار واوقف الزحف الصليبى .. واستطاع ان يمتزج بالعنصر المغولى الذى يمت له بنسب قوي وان يكون بذلك مدا جديدا للاسلام فى اراضى لم يطأها من قبل .

دخول التركستان الشرقية فى الاسلام:

ذكر ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان[1] ان هشام بن عبد الملك الخليفة الاموى ارسل الى ملك التركستان الشرقية أو بالاحرى رئيس قبائلهم لانهم كانوا بدوا فى ذلك الحين ، رسولا يدعوهم الى الاسلام.ولما دخل الرسول وجد الملك يعمل سرجا بيده فعرض عليه الاسلام وشروطه ومنها ان لايعيشوا على النهب والسلب . فلماكان الغد استنفر الملك رجاله فاذا هم مائة الف او يزيدون واراهم الرسول ثم قال له :ليس فى هؤلاء خياط ولا اسكاف ولاحجام ولا فلاح فاذا اسلموا والتزموا شروط الاسلام فمن اين ياكلون ؟.

وقد صدق فقد اشتهر هؤلاء البدو بشدة البأس وأصبحوا هم عمادجيوش الدول الاسلامية وما ان تمت لهم السيطرة على القوة العسكرية حتى صاروا الامراء والسلاطين .

وقد تاخر دخول التركستان الشرقية فى الاسلام عن التركستان الغربية التى بدأ غزوها منذ مرحلة مبكرة فى التاريخ الاسلامى . فقد ذكر المقدسى

١ - معجم البلدان مادة تركستان ج .

كماينقله عنه بارتولد استشهاد ٢٧٠٠ من الصحابة والتابعين فى اقليم فرغانه بالقرب من اسبيذبولان كان قد أُرسلهم الخليفة الراشدعثمان بن عفان رضى الله عنه تحت امرة محمد بن جرير فاستشهدوا جميعافى فى واقعة مع الكفار..

وهذا ان صح يدل على ان المسلمين قد توغلوا فى أرض التركستان الغربية فى عهد مبكر جدا. ومن المعروف أن الصحابى الحكم بن عمرو الغفارى رضى الله عنه هواول من عبر نهر جيحون (أُمودا ريا)وفتح الصغانيان سنة ٥٠ هـ(٦٧٠م) فى عهد معاوية بن ابى سفيان.. ثم فتح عبيد الله بن زياد بيكند وبخارى سنة٥٥هـ (٦٧٤م) ثم جاء بعده سعيد بن عثمان بن عفان وفتح سمرقند وفى تلك المعركة استشهد قثم بن العباس رضى الله عنه (ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم). وقدتم ذلك كله فى عهدمعاويه بن ابى سفيان .

وفتح موسى بن عبد الله بن خازم ترمذ سنة ٧٠هـ(٦٨٩م) ثم جاء قتيبة بن مسلم الباهلى الذى يعتبر بحق فاتح بلاد ماوراء النهر.. ووطد الاسلام فى تلك البقاع (٨٨ - ٩٦هـ/٧٠٦ - ٧١٤م) .. ووصلت جيوشه الى حدود الصين وخضع له امبراطورها وبعث له بالجزية .

ويعتبر قتيبة بن مسلم الباهلى أول منوطد للاسلام فى التركستان الغربية ونشره بين اهلها . ولايزال قبر قتيبه بن مسلم معروفا وموجودا فى رباط سرهنك بقرية كاخ من أقليم فرغانه ويعرفه الاهالى باسم الشيخ قتيبه فى دائرة كدك من أعمال انديجان كمايقول بارتولد.(١)

وفى خوقند (خجنده)من اقليم فرغانه مشهد عبد الله بن على زين العابدين بن الامام الحسين السبطالمتوفى سنة ١١٣هـ(٧٣١م).

ورغم أنّ قتيبه بن مسلم قد فتح كشغر قبل نهاية القرن الهجرى الاول الا أن مناطق التركستان الشرقية لم تدخل فى الاسلام الافى مراحل متأخرة

١ - بارتولد، فاسيلى فلادمير: تركستان من الفتح العربى الى الغزو المغولى ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب ، الكويت، ١٩٨١م.

نسبيا .عندمادخل خاقان الامبراطورية القراخانيه ستوق بغراخان فى الاسلام وذلك عام ٣٢٣هـ(٩٤٣م)وقد أسلم هذا الملك نتيجة جهود الدعاة الى الله من الصوفية وأسلم معه اكثر من مائتى الف خيمة اى قرابة مليون شخص ..وقدضربت النقود باسم هارون بوغراخان حفيدستوق بغراخان ووسع رقعة مملكته لتشمل اجزاء من التركستان الغربية .كماظهرت فى عهده نهضة أدبيه وعلميه وكتبت اللغة التركية بالحرف العربى . وكانت أوقاف المدارس تشكل خمس الارض الزراعية فى عهده .

ومع ذلك بقيت أعدادكبيرة من بدو التركستان الشرقية بعيدة عن الاسلام وتناصبه العداء بل وتكونت دولة معادية للاسلام وتهدد المناطق الاسلامية المحاذية مثل الدولة القراخطائيه (الخطل)[1] الذين استقروافى بلاساغون (الدولة الكورخانيه) التى سيطرت على كثيرمن اراضى المسلمين المتاخمة ..والتى لم تخضع للاسلام بصورة نهائية الافي عهود متاخرة بعد اسلام القبيلة الذهبية .

ورغم ان السلطان علاء الدين محمد الخوارزمى استطاع فى بعض معاركه ان ينتصر انتصارات حاسمة ضد القراخطائيين (الكورخانيين) الا أن دولتهم لم تنته الا بظهور جنكيزخان وانضوائهم تحت معسكره ..ولم يدخلوا فى الاسلام الا مع دخول الاورد الذهبى من القبائل المغولية .

وكانت الصين منذ أمد بعيد تمد حكومة بلاساغون بالجيوش لمناوأة المد الاسلامى . وفى سنة ١٣٤هـ(٧٥١م) دارت معركة طاحنة بين القوات الاسلامية بقيادة زياد بن صالح والقوات الصينيه والتركية بقيادة كاوهسن شت الكورى الاصل . وانتصر المسلمون انتصارا حاسمافى تلك المعركة المعروفة بمعركة طلاسى والواقعة على ابواب مدينة طراز فى قرغيزيا اليوم.وقتل فى هذه المعركة خمسين الفا من قوات الصين وأسر عشرون الف وأدى ذلك الى أن تبتعد الصين من التدخل فى شئون التركستان لفترة من الزمن. وعندما بعث أمير (أشرو سنه) فى العام التالي لمعركة طلاس يطلب معونة الصين، آثرت الصين عدم التدخل بعد الدرس القاسى الذى لقنته اياها قوات زيادبن صالح..

ولقد كان للسامانيين الذين تولوا حكم منطقة آسيا الوسطى وامتد حكمهم الى ايران وشمال افغانستان ، دور عظيم بارز فى نشر الاسلام فى

---

(١) القراخطائيون يدعون أيضا الخطل أوالكورخانيون وقد أسسوا دولة قوية من سنة ١١٢٤ الى سنة ١٢١١م وهم أتراك قدموا من الصين ثم الى التركستان الشرقية واستقروا فى جونغاريا وبلاساغون وتغلبوا على القراخانيين عام ١١٢٠م واتسعت دولتهم لتشمل اجزاء واسعة من التركستان الغربية وتميز حكمهم بالتسامح الدينى واستعانوا بالمسلمين وانتهت دولتهم على يد السلطان علاء الدين محمدخوارزمشاه سنة ١٢١١م ثم على يد جنكيزخان .

التركستان الشرقية بصورةخاصة وكمايقول الدكتور حسن احمدمحمود فى كتابة (الاسلام فى آسيا الوسطى):"والدور الخالد الذى قام به السامانيون ليس هو الجهاد فحسب وانماكسبهم عالم الاتراك الشرقيين للحضارة الاسلامية لقد كان السامانيون يطبقون سياسة الجهاد الحقة بالسيف من ناحية (لاخضاع القوة المعادية) والتبشير السلمى من ناحية آخرى ".

وقد نشطت مدارس بخارى وسمرقند وفرغانة بين مختلف القبائل التركية.. وكان اوج نشاطها فى القرن الرابع الهجرى الذى يعتبربحق عصرالدعوة الشاملة الى الاسلام بين الاتراك الشرقيين. واشترك فى هذه الجهود المباركه الفقهاء والصوفية والتجار والامراء.وكمايقول بارتولد(١): لقد قام هؤلاء المتصوفة بدور كبير الى جانب الفقهاءفى نشر الاسلام. فالفقهاء يخاطبون الطبقة المثقفة والصوفية يتعمقون بالعقيدة فى نفوس طبقات العوام.. ويكسبون قلوب الجماهير فى مناطق البدو بحياتهم المتقشفة وسيرتهم وزهدهم وعمق ايمانهم وصدق دعوتهم.

وقد استطاع هؤلاء ان يكسبوا ملك القراخانيين ستوف بغراخان عام ٣٢٣هـ(٩٤٣م) حيث اسلم طواعية هو ومائتى الف خيمة يسكنهامالايقل عن مليون شخص .. وقد تلقب هارون بن موسى حفيد ستوق بغراخان بلقب شهاب الدوله وظهير الدعوة ونقش هذا اللقب على السكة (النقود) التى ضربها بايتاق سنة ٣٣٢ هـ(٩٩٢م).

ولعب القراخانيون دورا فى نشر الاسلام فى المناطق الشرقية التى لم تسلم واستشهد خان كشغر وهو من القراخانيين اثناء جهادهم سنة ٣٨٩هـ (٩٩٨م). وكانت البلاد التى على الثغور تعج بالمطوعة اى المتطوعين للجهاد فى سبيل الله.

وكانت ولاية اسفيجاب وحدها تخرج كمايقول المقدسى سبعين الف مجاهد بينما كانت سدران(صبران) من الثغور المليئة بالمطوعة وكذلك

---

(١) بارتولدفاسيلى : تركستان من الفتح العربى الى الغزو المغولى ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب ، الكويت، ١٩٨١م.

كانت مدينة جند.

ولم يكن القبچاق وعاصمتهم سغناق قد أسلموا بعد (لاتزال موجودة باسم سناق قرغان كمايذكر بارتولد).

وكان القبچاق هؤلاء في حروب مستمرة مع جيرانهم المسلمين .وكثيرا ماكان يؤسر اولادهم وأطفالهم ويرسلون الى عاصمة الخلافة. ومن هؤلاء القبچاق ظهر مجموعة من قادة العالم الاسلامى نذكر منهم الظاهر بيبرس البندقداري الذى حكم مصر والشام وصد المغول . والسلطان قطز صاحب المعركة الفاصلة بين المسلمين والمغول فى عين جالوت .

ولقد لعب القراخانيون دورا بارزا بعد اسلامهم فى نشر الاسلام فى الربوع المحاذية لاراضيهم وبين بقية مواطنيهم.. وفى عام ٤٣٥هـ(١٠٤٣م) استطاع القراخانيون ان يكسبوا الى صف الاسلام اكثر من عشرة آلاف خيمة من خيام القرغيز.

واتجه القراخانيون مع التجار والصوفيه صوب نهر الفولجا ينشرون الاسلام على ضفافه كما اتجهوا الى جبال تيان شيان ونشروا الاسلام هناك .

وأظهر القراخانيون المسلمون خضوعهم للخليفة العباسى واتخذوا لقب موالي أمير المؤمنين وضربوا العملة باسم الخليفة القادر ودعوا له على منابر بلادهم واتخذ ملكهم ايلك خان لقب ناصر الحق ..

وسرعان ماتحولت اليغوريه وثقافتهم الصينيه الى الحرف العربى والطابع الاسلامى الصرف وكان أول من أسلم من الاتراك الشرقيين هم قبائل القرلوق الذين عرفوا فيمابعد باسم التركمان . أما قبائل التغزغز والغز فقد ظهر منهم السلاجقة الذين حكموا دار الخلافة الاسلامية فى بغداد وأصبح نفوذهم فيها أقوى من نفوذ الخليفة ذاته. وبلغت دولتهم فى عهد ملكشاه أقصى مداها والذى اضاف جزءا كبيرا من الاناضول الذى كان مقر دار الدولة البيزنطية ، الى الخلافة العباسية.

ولقد لعب السلاجقة دورا هاما جدا في رفع راية الاسلام فى مناطق مختلفة، ولم يكتفوا بصد الغارات الصليبية والبيزنطية التى تفاقمت مع

انحلال دار الخلافه ولكنهم قاموا أيضا بفتح اجزاء واسعة من الامبراطورية البيزنطية واسهموا بدور فعال فى تقويض هذه الامبراطورية المعادية للاسلام .. وأتم العثمانيون وهم فرع آخر من القبائل التركستانية الشرقية فيمابعد، مابدأه السلاجقة وأنهوا الامبراطورية البيزنطية الى الابد باحتلال عاصمتهم القسطنطينيه على يد محمد الفاتح سنة ٨٥٧هـ(١٤٥٣م).

الجند والامراء من التركستان :

لقد حرصت الدولة الاسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم على اشراك أهل البلاد المفتوحة فى ادارة شئون بلادهم وعاملوهم معاملة يتمثل فيها العدل بأسمى معانيه والسماحة الدينية التامة فى أنقى صورها.. وأدى ذلك الى دخول هذه الامم أفواجا فى دين الاسلام.. وأدى دخول هذه الامم المغلوبة فى الاسلام الى ان ينخرطوا فى سلك الجندية فكان منهم القادة والسادة كماكان منهم العلماء والادباء.

ولم ينصرم عهد الصحابة رضوان الله عليهم الا وكان الموالى هم أساتذة العلم والدين .. وهم الذين يتصدرون للفتيا.. وهم الذين تنحنى جباه الجبابرة امام علمهم وزهدهم وورعهم وتقواهم..

وكان للاتراك فى ذلك دور بارز وأى دور .. فظهر منهم مئات بل الاف العلماء والمفسرين والمحدثين وفقهاء الاسلام كماظهر المئات من الاطباء والشعراء والادباء واللغويين والنحاة والجغرافيين والرياضيين والفلاسفة.

وكان دور التركستان الغربية فى هذا واضحا تمام الوضوح منذ القرن الثانى الهجرى وكانت بخارى فى القرن الثالث الهجرى كمايقول الثعالبى :"مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ومطلع نجوم ادباء الارض وموسم فضلاء الدهر".. وقد بلغت بخارى ذروة مجدها فى عهد السامانيين الذين جعلوها قاعدة ملكهم..

والواقع ان دور بخارى وماحولهافى الاسلام، بدأ منذ فترة مبكرة جدا وذلك عندما فتحهاعبيد الله بن زياد سنة ٥٤ هـ(٦٧٤م) حيث أخذ عبيد الله بن زياد معه ألفين من خيرة الرماة من جند بخارى معه فأحسن اليهم وأسلموا وكانوامن جيشه اللجب .

وبتوالي الفتوحات أنخرط الاتراك فى الدولة الاسلامية الفتية وأصبحوا يشكلون جزءا مهمامن القوات العسكرية حتى خلال العهد الاموى الذى اشتهر بانه اعتمد اعتمادا كبيرا على العرب فقط .. ومع هذا فان الامويين لم يهملوا العناصر الأخرى بل أدخلوا البربر فى جيوشهم وتولى طارق بن زياد البربري فتح الاندلس .. كذلك أدخلوا الفرس والاتراك وغيرهم من الاجناس الذين شاركوا مشاركة فعالة فى الفتوحات الاسلامية الواسعة التى تمت فى عهدهم .

ولكن ظلم بنى أمية واستئثارهم بالحكم والمال وتعصبهم بصورة عامة للعرب أدى الى أن تنفر منهم الاجناس الاخرى وتلتف حول مناوئيهم من آل بنى هاشم والعلويين بصورة خاصة - كما أدى الى التفاف اعداد أخرى حول الخوارج الذين اقلقوا مضجع الدولة الاموية ..وهزوا كيانهابثوراتهم المتكرره والبالغة الشجاعة .

وما أن قامت الدولة العباسية على اكتاف الخراسانيين بصورة خاصة الا وظهر نفوذهم القوى فيهامما أدى الى أن يقوم المنصور بقتل أبى مسلم الخراسانى خوفا من نفوذه .. وان يقوم الرشيد بعد ذلك بنكبة البرامكة خوفا من نفوذهم .

ظهور العنصر التركى على يد المعتصم :

ظهرت الجوارى فى القصور العباسيه وفى قصور الاغنياء والتجار وبدأ العنصر التركى يظهر منذ أن تولى المعتصم العباسى سدة الخلافة حيث كان اخواله من الاتراك .. وكانت أمه تركية تدعى ماردة .

ولاشك أن الاتراك الذين كانوا يجلبون للبيع فى اسواق بغداد أو القاهرة أودمشق لم يكونوا من التركستان الغربية التى أسلمت منذ

فترةطويلة ، بل كانوا يجلبون من التركستان الشرقية التى لم تسلم بعد فى ذلك الحين . لأن الاسلام يحرّمُ تحريما تاما استرقاق المسلم. ولايجوز الرق الا فى الحرب مع الكفار.

وتوسع المعتصم فى جعل حرسه وجيشه من الاتراك الشرقيين ..والذين كان يجلبهم له التجار من التركستان الشرقيه ومن القبجاق (قازاقستان).. وكان يتخذ معهم نظاماجيدا وصارما حيث كانوا يعلمون القرآن ثم فنون الحرب ثم يترقون فى الادارة حتى يصبحوا أُمراء.

وأُزداد نفوذ الاتراك فى جيش الخليفة وادارته حتى اضطر الخليفة لبناء مدينةخاصةبه وبهم بعدأن كثرت المشاحنات بين بعض الجنود الاجلاف وبين سكان بغداد وانتقل الخليفة العباسى ذو القوة البدنية الرهيبة الى عاصمته الجديده "سر من راى" (سامرا)

وازداد النفوذ التركى فى بلاط الخليفة المعتصم وجيشه وخاصة بعد أن قام القائد العربى عجيف بالتآمر سرا مع العباس بن المأمون لاقصاء الخليفة وجنده الاتراك. وأُتفقوا على قتل الافشين وأُشناس والمعتصم ..وعلم المعتصم بالمؤامرة فقضى عليهافى مهدها..وأقصى المعتصم العرب والفرس من ديوان العطاء وأُعتمد كليا على العنصر التركى .

وقد ذكر السيوطى فى تاريخ الخلفاء ان المعتصم كان أول خليفة عباسي استعان بالاتراك وأسند اليهم المناصب .. وقد عنى المعتصم باقتناء الترك فبعث فى شرائهم الى سمرقند وفرغانه وغيرهمامن النواحى. وبذل فى سبيل ذلك الأموال وألبسهم انواع الديباج.

ولم يكن الباعث له أن أمه تركيه فقط بل وجد الاتراك ذوى شجاعة وصباحة واقدام وتمسك باهداب الاسلام فولاهم حراسة قصره، وأُسند اليهم الولايات والمناصب وآثرهم على العرب والفرس وجعلهم بطانته وأهل مودته (!)

---

(١) د.حسن ابراهيم حسن :تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ج٢/١٩٣ نقلاعن جيبون

وتكاثروا فى بغداد فى عهد المعتصم حتى أربوا على خمسين الفا (٢) وكان الشاب التركى يحصل على حريته اذا ما أخلص فى خدمة مولاه. وسرعان مايصلون الى مناصب القيادة والامرة. بل أصبحت الخلافة بكاملها طوع أمرهم وبدأ عهد الخلافة فى الذبول ونجم الاتراك فى صعود حتى استبدوا بالخليفة وجعلوه العوبة فى يدهم.. بل وصل الامر بهم أن سملوا أعين الخلفاء وقتلوا بعضهم وحبسوا بعضهم..

الاتراك فى العصر العباسى الثانى:

كان العصر العباسى الثانى (٢٣٢ - ٤٤٧هـ) يمثل بداية الضعف والتخلخل فى كيان الخلافة العباسية .. وأول هؤلاء الخلفاء المتوكل وآخرهم المقتدى ..

وكان بغا الكبير والفتح بن خاقان هما المدبران لامر المتوكل الذى اغتاله بغا الصغير وباغر.

وكان موقف الخليفة المستعين بالله العباسى فى نهاية الضعف حتى قال فيه الشاعر:

خليفة فى قفص بين وصيف وبغا
يقول ماقالا له كما تقول الببغا

ولما تولى المعتز الخلافة حاول أن يخفف جهده من طغيان هؤلاء عليه، فلما احسوا منه ذلك قاموا بقتله شر قتله.. وكان موقف المهتدي الذى خلفه ضعيفا حتى رفع يديه الى السماء وقال كما يروى الطبرى: "اللهم انى ابرأ اليك من فعل موسى بن بغا واخلاله بالثغر واباحته العدو فاني قد اعذرت فيمابينى وبينه.. اللهم تول كيد من كايد المسلمين، اللهم انصر جيوش المسلمين حيث كانوا. اللهم انى شاخص بنيتى واختيارى الى حيث نكب المسلمون فيه، ناصرا لهم ودافعا عنهم، اللهم فآجرنى

---

(١) المصدر السابق ج٢/١٩٤ .

بنيتى اذا عدمت صالح الاعوان ، ثم انحدرت دموعه يبكى".(١)

ورغم أن المهتدى كان من أحسن الخلفاء العباسيين سيرة وأظهرهم ورعا واكثرهم عبادة وخشوعا وتشبها بعمر بن عبد العزيز فى مداله وزهده الا انه كان ضعيفا لم يستطع أن يفلت من تدخل قواده وحاشيته ، وثقل على الخاصة والعامة بحمله اياهم على الطريق الواضحه فاستطالوا خلافته وسئموا أيامه وعملوا الحيلة حتى قتلوه كمايقول المسعودى.(٢)

الآن هؤلاء القواد أفادوا الدولة العباسية حيث قضوا على الثورات التى نشبت والفتن التى استعرت بالعراق وغيرها مثل ثورة بابك الخرمى، وثورة الزنج والقرامطه وثورات العلويين وغيرها..

ومع هذا فان الضعف أخذ ينتاب هذه الدولة العجوز فى عقر دارها حتى أن توزون وزير البلاط وأمير الامراء سمل عينى خليفتين هما المتقى والقاهر. قال السيوطى (٣)! ولماكحل المتقي قال القاهر:

صرت وابراهيم شيخ عمى ... لابد للشيخين من مصدر

مادام توزون له امرة ... مطاعة فالميل فى المجمر

وظل المتقى مسجونا خمسا وعشرين سنه الى ان مات فى شعبان سنة ٣٥٧هـ.

وقد ظهر فى هذا العصر العباسى الثانى مجموعة من الدول الاسلامية المستقلة والتى لم تكن تدين للعاصمة بغير الولاء الاسمى والدعاء للخليفة على المنابر وارسال بعض الجبايات والاموال .

وكان للاتراك الشرقيين فى هذه الدول دور وأي دور فقد قامت الدول التالية وكلها ان لم يكن كلها من العنصر التركى الآتى من التركستان الشرقية وهى :

١) الدولة الغزنوية .

٢) الدولة الطولونية .

---

(١) ابن جرير الطبرى ج١١/١٣٣

(٢) المسعودى :مروج الذهب ج٢/٤٣١

(٣) السيوطى :تاريخ الخلفاء ص ٢٦٣ .

٣) الدولة الاخشيدية ٠

٤) الدولة السلجوقية الكبرى والسلاجقة العظام ثم السلاجقة فى الامصار المختلفة والاتابكيات ٠

٥) الدولة الخوارزميه ٠

ولاشك أن اكثر هذه الدول تاثيرا وأطولها عمرا هى الدولة السلجوقية تليها الدولة الغزنوية ٠ وسنتحدث عن كل واحدة من هذه الدول بايجاز شديد٠

وقد تبع هذا العهد دول كثيرة لعب فيها العنصر التركى القادم من التركستان الشرقية وبلاد القبچاق دورا بارزا٠ وذلك فى العصر المملوكى حيث كان كثير من حكام المماليك من تلك المناطق ٠

ثم ظهرت دولة تيمورلنك الذى ظهر من قبائل البرلاس التركية وكان يمت بنسب الى جنيكز خان من جهة امه ٠ وأقام امبراطورية باذخة امتدت من حدود الصين الى موسكو ووارسو٠٠ وخضعت له معظم بلاد العالم القديم المعروف آنذاك ٠ ثم تولى ابناؤه من بعده وأقاموا دولا باذخه فى أفغانستان والهند٠ وقد عرفت الدولة التيمورية فى الهند باسم الدولة المغولية، وبقيت هذه الدوله حتى القرن التاسع عشر الميلادى٠ وفى نفس الفترة ظهرت الدوله العثمانيه وكانت أطول عمرا وأعظم تاثيرا من كل الدول السابقة ويرجع آل عثمان الى الاتراك الشرقيين ٠٠ وقد استطاعوا أن يوسعوا رقعة الاسلام فى أوروبا كما استطاعوا أن يحموا الاقطار الاسلامية الاخرى من الغزو الصليبى والاستعماري الأوربى لفترة طويلة من الزمان ٠

ولم تنته هذه الدوله العظيمة الا بعد الحرب العالمية الاولى بعد أن تكالبت عليها دول اوربا قاطبة وتمكنت من تمزيق أوصالها٠٠

لهذا كله نجد أن اسهامات التركستان الشرقية فى التاريخ الاسلامى تمتد عبر عشرة قرون تقريبا كما أنها تمتد عبر المكان فتشمل مناطق واسعة من حدود الصين وحتى اسوار فينا٠

وليس من السهل الالمام بهذا التاريخ الحافل فى هذا البحث الابصورة موجزة جدا٠

الدولة الغزنويـــــة

٣٥١ - ٥٨٢ هـ

٩٦٢ - ١١٨٦م

كان البتكين ذا منزلة رفيعة عند الامير عبد الملك بن نوح السامانى الذى جعله حاجبا له كما عينه سنة ٣٤٤هـ عاملا له على مدينة هراة (فى شمال غرب افغانستان) .. والبتكين هذا من التركستان الشرقية التى أخذمنهـا وصار مولى لعبد الملك بن نوح. ثم تولى البتكين حكم غزنه عام ٣٥٢هـ ولكنه توفى بعد عام واحد.

ويعتبر سبكتكين أحد موالى البتكين وزوج ابنته المؤسس الحقيقى للدولة الغزنوية وسبكتكين ايضا من التركستان الشرقية.

واستطاع سبكتكين بحكمته وشجاعته أن يؤسس دولة قوية قامت علـــى دعائم باذخة وأستولى سبكتكين على معظم الاراضى المعروفة اليوم بأفغانستان كما أسس مدينة بشاور الموجودة اليوم فى شمال باكستان وفتح سبكتكيـــن شمال الهند. وظل سبكتكين فى الحكم عشرين عاما وطد فيها أركان مملكـــة قوية (٣٦٦-٣٨٧هـ/٩٧٦-٩٩٦م).

وكانت علاقته بآل سامان طيبة وحارب معهم جميع اعدائهم وحقق لهـم انتصارات بالغة فولاه نوح بن منصور السامانى على جميع خراسان وذلـــك سنة ٣٨٤هـ وبذلك اتسعت رقعة مملكة سبكتكين من شمال الهند الى خراسان.

وكان سبكتكين كما وصفه ابن الاثير عادلا خيرا كثير الجهاد حســـن الاعتقاد، ذا مروءة تامة وحسن عهد ووفاء".(١)

يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوى (٣٨٨-٤٢١هـ) (٩٨٨ - ١٠٣٠م)

لقد استطاع محمود الغزنوى أن يوطد بناء المملكة التى اسسها أبـوه وأن يعلي بنائها شامخا باذخا ووصلت هذه الدولة أقصى اتساعها وذروة مجدهـا

---

١ - ابن الاثير :ج٩/٤٨.

فى عهده الميمون المبارك .. واشتهر محمود الغزنوى بتقواه وعلمه وجهاده وقد وصفه ابن الاثير بقوله: "كان محمود الغزنوى عاقلا دينا خيرا عنده علم ومعرفة له كثير من الكتب فى الفنون وقصده العلماء من اقطار البلاد وكان يكرمهم ويقبل عليهم ويعظمهم ويحسن اليهم.. وكان عادلا كثير الاحسان الى رعيته والرفق بهم كثير الغزوات ملازما للجهاد وفتوحه مشهورة مذكورة".

وقد بلغ محمود الغزنوى فى فتوحاته فى الهند، كما يقول ابن خلكان "الى حيث لم تبلغه فى الاسلام رايه ولم تنل به قط سورة ولا اية. فدحض عنها اجناس الشرك وبنى بها مساجد وجوامع واقام بدلا عن بيوت الاصنام مساجد الاسلام وعن مشاهد البهتان معاهد التوحيد والايمان".(١)

ووصفه المؤرخ العتبي بقوله: "ان راية الاسلام لم تظل على سلطان احسن دينا واصدق يقينا واوقع حلما واسدّ سيرة واخلص سريرة واتم وفاء واعم سخاء..... من الامير السيد الملك المؤيد يمين الدوله وامين الملة ابى القاسم محمود بن ناصر الدين ابى منصور سبكتكين".(٢)

وقد دوخ الهند من اقصاها الى اقصاها كما يقول شكيب ارسلان(٣) وتألب عليه رجوات لاهور وانبغال ودهلى واجمير وقنوج وغفاليور وكالنجار واودجين حزمة واحدة. ووقف العالم البرهمي بازاء العالم الاسلامي فى واقعة باتنداه وتمزق شمل الراجاوات كل ممزق وفتح محمود كشمير ودهلى واقام ولاة من قبله فى لاهور.... وقصد كوجرات وحطم الصنم الاعظم سومنات وفتح بهاذلك الفتح الذى تضاءلت امامه الفتوح واثنت عليه الملائكة والروح.

وبسبب هذه الفتوحات المتعددة اطلق عليه الخليفة العباسى المقتدر لقب سلطان وسماه يمين الدوله وامين الملة..

---

(١) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج ٢ ص ٨٤

(٢) كما ينقله عنه د. حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى ج٣/٩٥.

(٣) حاضر العالم الاسلامى ج٢/١٩٧.

ولم يكتف السلطان محمود بمحاربة العالم البرهمى الوثنى ولكنه وسع دولته شمالا وحارب الاسماعيلية والباطنية واهل البدع والاهواء حتى قال عنه الامام الذهبي :(١)

"وامتثل يمين الدولة محمود بن سبكتكين أمر القادر بالله وبث كلمته فى عماله بخراسان وغيرها فى قتل المعتزلة والرافضة والاسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة .."

وقد وسع رقعة دولته بسبب اضطراب الدوله السامانية وتآمر مماليك آل سامان الذين ثاروا على منصور بن نوح السامانى فهب محمود الغزنوي لتأديب بكتزون وفائق الذين سملا عين منصور السامانى .وقضى عليهما قضاء مبرما.. كماغزا محمود الغزنوى الدولة البويهية فى الري(طهران) والجبل سنة ٤٢٠هـ وذلك لأن الدوله البويهيه شيعية رافضة فهاجم دولتهم كماهاجم القرامطة الاسماعيليه فى معاقلهم فى قزوين .

ولم يكتف محمود الغزنوى بهذه الانتصارات العسكرية الباهرة ولكنه اهتم اهتماما شديدا بالعلماء والادباء. وفى زمانه ظهرت نهضة علمية وعقليه وصارت غزنه مركزا للعلم والعرفان ومشرقا لاشعة الحكمة والبيان.. وكان فى بلاطه العلماء والفلاسفة والمؤرخين والادباء والشعراء ومن أشهرهم ابو النصر الفارابى وابو الريحان البيرونى وأبو بكر الخوارزمى وبديع الزمان الهمدانى ومن الشعراء العجم الفردوسي صاحب الشاهنامه والشاعر العنصرى والشاعر الفرخلى .. وغيرهم كثير.

وحدثت نهضة علميه وأدبيه وشعرية وعمرانيه لم يسبق لها مثيل فى تلك الديار وتتمثل أهمية الدولة الغزنوية فى انها فتحت شمال الهند وحولته بصوره عامة الى الاسلام عن طريق الاقناع. كمايتمثل دورها فى نشر الاسلام فى منطقة الغور الجبلية الواقعة فى وسط أفغانستان والتى ظهرت منها فيما بعد الدولة الغورية الباذخة والتى أسهمت ايضا فى نشر الاسلام فى البنغال .

---

(١) كماينقله عن المصدر السابق ج ٣/٨٩ . (د. حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي)

وباختصار فان باكستان المسلمة هى نتاج فتوحات محمود الغزنـــوي بينمانجدسكان بنجلادش مسلمين بجهود الغوريين بصورة خاصة،فضلا من اللـــــه ونعمة.

كماتتمثل أهمية الدولة الغزنوية فى النهضة العلمية والادبيه التـــى أوجدتهاباحتضانها العلماء والادباء والحكماء.. وكانت تلك النهضـــــة قائمة باللغة العربيةمنذ قرون سبقت واستمرت على ذلك . وفى العهـــد الغزنوي برز الشعر الفارسي واللغة الفارسية بصورةلم يسبق لهانظيربـــل لم يلحقهاحتى فى العصور التالية.. ويكفى أن نذكر الفردوسى صاحـــب الشاهنامه تلك الملحمة الطويلة التى تكاد تتفوق على الالياذه التـــى أنتجتها قريحة هوميروس فى اليونان .. كمايكفى ان نذكرالفروخلـــي والعنصري والاسجودي وجميعهممن الشعراء المبرزين فى اللغة الفارسيـــة، وظهرت فى عهده أيضا الكتب العديدة فى الطب والتاريخ والدين باللغتين العربية والفارسية وازدانت بها المكتبات الاسلامية.

واستمرت الدولة الغزنوية على منهج محمود الغزنوى فى عهـــد ابنه مسعود.. وللأسف بدأت المعارك تشتد بين الدولتين التركيتيـــن السنيتين المتجاورتين : الدوله الغزنوية والدولة السلجوقية..وقد استمرت هذه المعارك الطاحنة فترة طويلةمن الزمان استغرقت جـــزءا مـــن عهد محمود الغزنوى نفسه ثم عهد ابنه مسعود ثم حفيده مودود بن مسعـــود حتى زالت الدوله الغزنوية على يد السلاجقه من جهة ويد الغوريين من جهة أخرى .

وكان زوال الدولة الغزنوية على يد شهاب الدين الغورى سنة ٥٨٢هـ(١١٨٦م) وبقيت آثارهم فى الهند فترة أخرى ثم قضى عليها الغوريون قضاءتاما.

وبصورةعامة كان سلاطين الغزنويين كماذكر ابن الاثير:من أحســـن الملوك سيرة ولاسيماجدهم محمود فان آثاره فى الجهادمعروفة وأعمالـــه للآخره مشهودة.(١)

---

(١) ابن الاثير: الكامل ج١١ص ٦٩

الدولة السلجوقية ٤٢٩-٥٥٢ هـ
١٠٣٨-١١٥٧م

تعتبر الدولة السلجوقية من أعظم الدول الاسلامية التى قامت فى العصر العباسي .. وكانت دولة باذخة استطاعت أن تفتح الفتوح وخاصة فى الاناضول وتمهد الطريق للقضاء على الدولة البيزنطية قضاء مبرما على يد فرع اخر من القبائل التركستانيه هي الدولة العثمانية .. كما هدت هذه الدولة الغزو الصليبي على الشام والجزيره وساهمت فى نشر الاسلام فيما بقي من أراضى التركستان .

وللأسف دخلت هذه الدولة أيضا فى حروب طاحنة مع الدولة الغزنوية (تركستانية الاصل) كما دخلت فى حروب لاتنتهى بين افراد الاسرة السلجوقية حتى قتل الأبن أباه والاخ أخاه وكثرت هذه الحروب بدرجة أدت الى تفكك هذه الدولة ومعاناة الأهلين الآمنين ..

ويرجع السلاجقة الى سلجوق بن دقاق (تقاق)من بلادكشغر التى تقع حاليا فى التركستان الشرقية المعروفة باسم سينكيانج والتى تحتلها الصين الشعبية . وكان دقاق كما وصفه ابن الاثير (١) زعيم الاتراك الغز "شهما ذا رأى وتدبير" .. وكان ابنه سلجوق عالي الهمة واسع العقل والكرم حتى جعله ملك الاتراك الشرقيين قائد جيشه . ولكن الملك أوجس منه خيفة بعد أن استمال سلجوق قلوب رجال الدولة اليه وأصبح الأمر لايبرم دونه فدبر مكيدة لاغتياله فعلم بها سلجوق وخشيَ على حياته فسار هو وقبيلته الى ديار الاسلام بنواحي جَنَد وأعلن اسلامه . وأصبح منذ ذلك الحين قوة للمسلمين واستعان به السامانيون فى صد غارات الاتراك الشرقيين الذين لم يسلموا بعد . وكان لسلجوق أربعة من الولد كلهم على مثل شجاعته .

ولما رأى محمود الغزنوى تعاظم قوة السلاجقة فى بلاد ماوراء النهر خشيَ مغبة تلك القوة على دولته ففرقهم ولكنهم تجمعوا فى عهد خليفته

---

١ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج٩ ص١٧٦ .

مسعود. واستطاع طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق أن يستولى على مروعاصمة خراسان وذلك عام٤٢٩ هـ (١٠٣٧م) وخطب له باسمه وتلقب بلقب ملك الملوك واشتعلت الحرب بين مسعود الغزنوى وطغرلبك السلجوقى ،وانتهت تلك المعارك العديدة بالهزيمة للجيش الغزنوي وصعود نجم بيت سلجوق وأمتد سلطان السلاجقة حتى قضى على كل الدويلات المجاورة. وأعترف الخليفة العباسى بطغرلبك وذكر اسمه فى الخطبه فى بغداد ونقشه على السكة قبل اسم السلطان البويهى .

وكان البويهيون قد استولوا على عاصمة الخلافة وأصبحت الامرة فيهم... ورغم اعترافهم بالخليفة العباسى وخضوعهم الاسمى له الا أن ميولهم كانت شيعيه .واستطاع الداعى الفاطمى الداهية مؤيد الدين أن يؤثر على السلطان البويهى ابى كاليجار تاثيرا قويا بحيث أصبح يحضر مجلس درسه ولايكاد يتصرف دون أمره حتى كتب الداعى الفاطمي مؤيد الدين الى الخليفة الفاطمى بالقاهرة يبشره أن الديالمة قد أصبحوا الى صاحب مصر داعين وباسمه مبايعين .

لهذا كله سرّ الخليفة العباسي بظهور طغرلبك السلجوقي السنى. ودخل طغرلبك بغداد فى احتفال مهيب فى يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان سنة ٤٤٧ هـ .. وقام طغرلبك على عادة الاعاجم والاتراك بتقبيل الارض بين يدى الخليفة القائم وأعترف به القائم سلطانا وحاكما على أراضي الدولة .

وعندما انشغل طغرلبك بمعركة مع أخيه ابراهيم ينال استغل الفرصة قائد تركى آخر كان فى بغداد يدعى البساسيرى .. والغريب حقا أن هذا التركي كان اسماعيليا على نقيض الاتراك بصورة عامه الذين كانوا من أشد الناس تعصبا للمذهب السنى واكثرهم بغضا لمذاهب الشيعة .

وقد أستولى البساسيرى على بغداد ووقع الخليفة القائم أسيرا بين يديه .. واستعطفه الخليفة بحق البيت النبوي وحق بنى هاشم عندما هم بقتله فتركه وحبسه فى أحد الدور.. وأعلن البساسيرى الدعوة للخليفة

الفاطمي ودعاله على المنابر.. ولأول مرة في التاريخ تصبح بغداد فاطمية واستمرت على ذلك لمدة عام.

واستنجد الخليفة بطغرلبك سرا وأعد طغرلبك للأمر الخطير عدته فتظاهر بأنه يريد الحج ثم هجم على بغداد وحارب البساسيرى حتى ظهر عليه وقتله وحمل رأسه الى بغداد وأعاد الخليفة العباسي الى مقره معززا مكرما.. وازدادت ثقة الخليفة العباسى بطغرلبك فجعله ملك المشرق والمغرب وخلع عليه سبع خلع سود تمثل أقاليم المملكة السبعة وعممه بعمامة مذهبة وقلده سيفه وأعطاه عهده وذلك فى الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة سنة ٤٥١هـ. وتفرغ القائم بعدها للعبادة فلزم مصلاه ولم يضع رأسه على مخدة وأكثر من الصيام والقيام حتى لاقاه الحمام

وكان طغرلبك كما وصفه ابن الاثير[1] عاقلا حليما من أشد الناس احتمالا وأكثرهم كتمانا لسره وكان يحافظ على الصلاة ويصوم يومى الاثنين والخميس من كل اسبوع وكان يلبس الثياب البيض كريما. ولم يكن له عقب فلما توفى خلفه ألب أرسلان بن أخيه داود.

وكان من حسن حظ ألب أرسلان أن وزر له رجل فى منتهى الذكاء والدهاء والعلم والبصيرة يدعى نظام الملك. واليه تنسب المدارس النظامية التى انتشرت فى عهده (ابو الحسن على بن اسحاق الطوسى)، ـــ والتى اصبحت من أشهر الجامعات فى العالم والتى كان يتولى التدريس فيها أفذاذ العلماء من أمثال الامام ابوحامد محمد بن محمد الغزالى كما درس فيها نظام الدين نفسه.

وقد كان عهد ألب ارسلان حافلا بجلائل الاعمال رغم قصره (٤٥٥-٤٦٣هـ). وقد وسع رقعة المملكة شرقا وأخضع بلاد ماوراء النهر كما وسع رقعة المملكة غربا وشمالا فى الاراضى البيزنطية.. وأسلم على يديه ويدى أتباعه كثير من أهالى الاناضول .. وحارب الدولة الفاطمية فى الشام وأخضع حلب ومكة

---

(١) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ جـ١٠ ص ١٠

والمدينة بعد أن كان الفاطميون قد تسلطوا عليها.. وتعتبر معركة ملاذجرد من أهم المعارك الحاسمة فى التاريخ الاسلامى التى وقعت سنة ٤٦٣هـ.

وقد تجمع جيش الامبراطورية البيزنطية بقيادة الامبراطور رومانوس فى مائتى الف مقاتل وسار حتى وصل ملازجرد (ملاذجرد) من أعمال خلاط (فى أرمينيا السوفيتيه اليوم). وكان السلطان الب أرسلان فى مدينة خوي بأذربيجان وعساكره متفرقه فى البلاد ولم يكن فى عسكره سوى ١٥,٠٠٠ (خمسة عشر الف) مقاتل وحاول أول الأمر أن يتجنب قتال الامبراطور لما رأى من جيشه اللجب الكثيف، ولكن أرمانوس رفض الهدنه فعقد السلطان أرسلان العزم على القتال وصلى السلطان بالناس الجمعة، وبكى السلطان متضرعا الى الله فى النصر وأخذ السيف ولبس البياض وتحنط وقال ان قتلت فهذا كفني. وقال لجنده "من أراد القتال فليقاتل رغبة فى الشهادة فليس ثمة أمير ولا مأمور ومن أراد العودة فليعد". فما تخلف واحد من جنده وصدقوا الله فى القتال فانتصروا انتصارا مؤزرا باهراً وأسر امبراطور الروم، ومنّ عليه السلطان فاطلق سراحه فأصبح من أنصار السلطان وسيّر اليه الاموال وخضعت جورجيا (كرجستان) وأرمينيا وأران (أذربيجان السوفيتيه) وجميعها الآن فى الاتحاد السوفيتى لحكم السلطان الب أرسلان وانتشر فيها الاسلام كما انتشر أيضا فى الاناضول انتشارا واسعا على يدي هذا السلطان المجاهد.

كان ألب ارسلان كما وصفه ابن الاثير (١): "كريما عادلا عاقلا رحيم القلب مقراً بانعم الله عليه وكان يتصدق على الفقراء طوال العام ويجزل لهم العطايا فى شهر رمضان من كل عام. وكان يكره السعايات فقد رأى ذات يوم سعاة ووشاية فى مصلاه بوزيره نظام الملك فلما قرأها سلمها الوزير وقال له: "خذ هذا الكتاب فان صدقوا فيما كتبوه فهذب أخلاقك وأصلح أحوالك، وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بمهمٍ يشتغلون به عن السعاية بالناس".

---

(١) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ ج١٠/٢٨

وكان كمايقول ابن خلكان(١) قد عظمت مملكته ورهبت سطوته وفتح من البلاد مالم يكن لعمه طغرلبك مع سعة ملك عمه .

وخلفه بعده ابنه ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥هـ) واتسع ملكه اتساعا عظيما ودُعيَ له على منابر البلاد الممتدة من حدود الصين شرقا الى بلاد الشام غربا ومن الاناضول شمالا الى اليمن جنوبا .

واستطاع ملكشاه أن يسوس هذا المملكة الواسعة بفضل حزمه وذكائه وشجاعته يساعده فى ذلك الوزير الهمام العالم الالمعي نظام الملك الطوسي الذى وزر لابيه من قبل .

وقد اتسعت العمارة وصلحت الزراعة وانتشر العلم فى عهد السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك الذى رصد الاموال الضخمة لنشر العلم وتأسيس المدارس (الجامعات الكبرى) وتشجيع العلماء وتكوين المراصد الفلكية واقامة الجسور واصلاح الزراعة وتفقد الرعية . وقد عمل فى هذا المرصد الهام الفلكى المشهور عمر الخيام وابو المظفر الاسفزارى وميمون ابن النجيب الواسطي .

وعندما زار ملكشاه بغداد فوضّ اليه الخليفه العباسى أمر البلاد والعباد .. واصهر الخليفة الى ملكشاه . وكان ملكشاه كما وصفه ابن خلكان(٢) : "احسن الملوك سيرة حتى كان يلقب بالسلطان العادل" وكان يجلس للمظالم بنفسه ويقضى بين الناس بالقسطاس والعدل وكانت السبل فى ايامه آمنه والقوافل تسير من بلاد ماوراء النهر فى أمن وطمأنينه .

وبموت السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ(١٠٩٢م) انتهى العصر السلجوقى الاول الذى عرف فى التاريخ باسم العصر الذهبى للدولة السلجوقية .

وتولى الحكم سنجر بن ملكشاه بعد وفاة أبيه، وبعد أن تولى مجموعة من اخوته وابناء اخوته الحكم واشتدت فيها المعارك بين السلاجقة وقد حكم خراسان وبلاد ماوراء النهر قبل توليته السلطنة وبعدها حكما يتميز بالحكمة والحزم .. ورغم صفات سنجر الحسنة العديدة الا أن الحروب العنيفة التى

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٤/١٦١

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٤/٣٧١-٣٧٤

ظهرت داخل البيت السلجوقى نفسه أدت الى ضعف هذا البيت .والى أن تظهر قوة منافسة فى الشرق هي قوة الخوارزميين. وذلك على يد إتسز المملوك التركى السلجوقى الذى ولاه سنجر منطقة خوارزم فاستطاع أن يحكمهاحكما قويا جعله يستقل بهاعن حكم سنجر وقد وقعت بينهما حروب عدة انهزم فيها اتسز.والغريب حقا ان سنجر كان يعفو عنه فى كل مرة ويعيده الى حكم خوارزم.

كما أن الغوريين الذين ظهروا من أفغانستان ثاروا عليه ولكن سنجر استطاع أن يهزم علاء الدين حسين الغورى ويأخذه أسيرا ولكنه عفا عنه وأعاده الى مملكته فى أفغانستان بعد ان أظهر الخضوع له.

وفى سنة ٥٤٨هـ(١١٥٣م)هُزِمَ سنجرلاول مرة هزيمة منكرة على أيدى الاتراك المعروفين باسم الخطا الذين لم يكونوا قد أسلموا بعد.واستولى كورخان زعيم الخطا (الاتراك الشرقيين الكفار) على مرو وسرخس ونيسابور وبيهق.

وقد اهتز الشاعر فريد الدين الكاتب وتلميذ الأنورى شاعر سنجر فقال معزيا للسلطان سنجربالفارسية :"أيها الملكان الدنياقد استقامت بفضل سنانك .

وانتقم سيفك من اعدائك طوال أربعين سنه

فان تكن عين السوءقد أصابتك فذلك فعل القضاء

والله وحده الباقى على حالة واحدة."

وقد استطاع سنجر بعد ذلك أن يهزم الخطا، كمايذكر ذلك الانورى شاعر سنجر الخاص فى قصيدته التى يقول له فيها:

- "الآن غدت قوائم الملك ثابته وقواعده راسخة لأن ركابك قد أستقر.
- لقد رأيت أياما اضطرب فيها الملك على يد الخطا"

ثم خجلت الايام فاعتذرت واحتضنت عرشك .

ولكن سنجر فى أيامه الأخيرة حارب الغز من بدو الترك الشرقيين المسلمين الذين كانوايقطعون الطريق وانتهى الأمر بانتصار الغز وأسر سنجر وزوجته..ورغم أن الغز كانوا يبدون له الاحترام الفائق اثناء أسره

الاانهم عاثوا فى الارض فسادا بعد هذه الوقعة .

وأستغل من بقي من قواد سنجر والاسماعيلية غياب سنجر فى الأسر فاستولوا على المناطق المجاورة .

وعندماماتت زوجة سنجر فى الأسر قرر الفرار .ولكنه عندماعاد الى مرو عاصمة ملكه وجد الخزائن خالية والبلاد خربه والرعية مشردة فانتابه الحزن والغم وسقط فريسة مرض عضال أودى بحياته .وكانت وفاته بمرو سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م .

وكانت وفاة سنجر نهاية عصر الملوك العظام فى الدولة السلجوقية وبدأ بعدها عصر السلاجقة الصغار الذين استقل كل واحدمنهم بقطر من الاقطار وعرفوا بسلاجقة العراق وسلاجقة كرمان وسلاجقة آسيا الصغرى (سلاجقة الروم) وسلاجقة الشام .. وظهر بعدهم الاتابكة .. فى هذه المناطق جميعا والاتابكة ايضامن المماليك الاتراك الذين جلبوا من التفجاق، والتركستان الشرقية .

ويتميز العصر السلجوقى بالميزات التالية :

١ - وسع أراضى الدولة الاسلامية فى الاناضول ووطد أركانهافى كرجستان (جورجيا) وأرمينيه وأذربيجان (وجميعهاجمهوريات فى الاتحاد السوفيتى حاليا) .. ونشر الاسلام بصورة واسعة فى تلك الاصقاع .

٢ - حمى الخلافة العباسية من الاندثار ورفع لواء السنة وحارب الشيعة وخاصة الشيعة الاسماعيلية وقضى على ثورة البساسيرى التى تم الاستيلاء فيهاعلى بغداد والدعاء على المنابر بهاللخليفة الفاطمى الاسماعيلي .

٣- شارك فى الذود عن حياض الاسلام فى بيت المقدس والشام من الحملات الصليبية التى كان ينظمها بابا روما وتشترك فيهادول أوربا .

٤ - نشر العدل والرخاء فى كثير من الاقطار الاسلامية- وساهم فى نشر المعرفة والعلوم باقامة المراصدوالمستشفيات والجامعات التى عرفت باسم المدارس النظاميه .. وظهر كثير من افذاذ العالم الاسلامى فى عصرهم وتحت رعايتهم نذكر منهم الفلكى الرياضى الشاعرعمر الخيام

والفيلسوف الاصولى المتكلم الفقيه حجة الاسلام أبوحامد محمدبن محمد الغزالى الطوسي والامام ابن الجوزى.وتقدمت فى عهدهم صناعة الورق وكثر الوراقون والنساخ وازدهرت المكتبات وخاصة فى مروعاصمة السلاجقة الاولى. وقد أشاد ياقوت الحموى (الرومى) بمكتبات مرو فى كتابه معجم البلدان ولاسيمافى عصرالسلطان سنجر السلجوقى .حتى قال فيهاياقوت "فكنت ارتع فيهاواقتبس من فوائدهاوانسانى حبها كل بلد والهانى عن الأهل والولد واكثر فوائد هذا الكتاب(اى معجم البلدان) وغيره (مثل معجم الادباء) مماجمعته فهومن تلك الخزائن".

وقد ظهر الامام الزمخشري فى ايامهم واشتهر تفسيره الكشاف شهرة واسعة وهو مطبوع والناس تقبلعليه الى يومناهذا فهومن أمهات كتب التفسير .وظهر ابن منويه (توفى سنة ٤٦٨) كنحوى بارز ومفسرمتوسع وقال عنه ابن خلكان فى الوفيات :" كان أوحد زمانه فى التفسير..".

وظهر عدد من أهل الحديث فى عهد السلاجقه منهم ابوزكريا يحى بن عبد الوهاب بن منده والمحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوى "الفراء وكريمة بنت احمد المروزيه التى اشتهرت برواية صحيح البخارى وتوفيت بمكة سنة ٤٦٤هـ .

كماظهر فى عصر السلاجقه الامام المحدث الفقيه شيخ الاسلام عبد الله الانصارى الهروى المتوفى سنة ٤٨١هـ وظهر فى العصر السلجوقى من النحاة ابو البركات عبد الرحمن الانبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ وابونزار البغدادى وابن الدهان المتوفى سنة ٥٦٩هـ وابن الخشاب البغدادى المتوفى سنة ٥٦٧ هـ.

وظهر ابن الاثير صاحب كتاب" الكامل فى التاريخ" وأسد الغابة فى تمييز الصحابة" وتوفى سنة ٦٣٢هـ .

وكان السلاطين من السلاجقه بصورةعامة يميلون للشعر ويتذوقون الشعر الفارسى بصورة خاصةواشتهر مجموعةمن الشعراء فى بلاطهم منهم الانورى شاعر السلطان سنجر.. وظهر فى عهدهم نظامى عروضى والرودكى

وفرخى الجرجانى .. وكان على الشاعر فى زمنهم أن يكون واسع الثقافة متنوعافي انواع العلوم آخذا باطراف الرسوم ، لان كل علم يتصل بالشعر كمايتصل الشعر بكل علم "كماكانوا يقولون .

ومن أئمة الادب السلجوقى الطغرائى الشاعر الاديب المتفنن الذى وزر للسلطان سعود بن محمد بن ملكشاه وصاحب لامية العجم المشهورة ..كما ظهر الحريري صاحب المقامات المعروفةومن مشهورى الاطباء فى العصر السلجوقى محمد بن على السمرقندى والمختار بن بطلان وعبد الله بن ابى الغنائم.

واهتم السلاجقة بعلم الفلك والنجوم وبنوا المراصد المختلفة وجعلوا فيها العلماء الفلكيين المشهورين واغدقوا عليهم العطاءوقد تقدم ذكر عمر الخيام الشاعر الفلكى الرياضوابو المظفر الاسفزارى وميمون الواسطى الذين عملوا فى مرصد السلطان ملكشاه ووزيره نظام الدين على بن اسحاق الطوسى وكان نظام الدين مولعابالنجوم وعلومهاوكذلك كان السلطان متلمش السلجوقى يتقن علم النجوم.

ولانستطيع ان نحصر العلماء الذين نبغوا فى كل فن في العصر السلجوقى وتحت رعايتهم فذلك يستغرق مجلدات وفيما ذكرنا غنية فى هذه العجالة.

الدولة السلجوقية الصغيرة ودول الاتابكة

بانتهاء عصر سنجر الذى يعتبر اخر السلاجقه العظام بدات هذه الدوله فى التفكك وهزمت فى المشرق (ايران افغانستان ومايسمى اليوم التركستان الغربية الواقعه تحت براثن العرب الروس والمعروفة باسم جمهورية اوزبكستان وتركستان وطادجكستان وجزءا من جمهورية قازاقتسان) وانتهت هذه الدولة على يد الغوريين من جهة ويد الخوارزميين من جهة أخرى

ورغم ان الدولة السلجوقية فى عصر السلاجقة العظام كانت شبه متحدة الا انها فى الواقع كانت تحكم ضمن عدة دول يحكمها فرع من آل سلجوق.. ويسيطر عليها فى النهاية عميد هذه الاسرة بالسيف فى معظم الاحيان وبالسن والدهاء فى أقلها..

وقد قامت عدة دول سلجوقية نذكر منها سلاجقة كرمان وسلاجقة سوريا وسلاجقة العراق وكردستان وسلاجقة الروم (آسيا الصغرى) .وقد بقيت هذه الاخيرة الى فترة متاخرة بعد اندثار الدول السلجوقية الاخرى وانتهت فى عصر علاء الدين كيقباذ الثانى الذى حكمها من سنة ٦٩٦ الى سنة ٧٠٠هـ (١٢٩٦-١٣٠٠م).. وربما دخل السلاجقة الداسمنديه الذين حكموا سيواس وقيصريه وملطيه فى الاناضول ايضا ضمن سلسلة سلاجقة الروم .وكان آخرهم ابراهيم بن محمد الثانى الذى حكم حتى عام ٥٦٠هـ/١١٦٥م.

وقد حل محل دول السلاجقة حكام من الاتراك (الشرقيين) يعرفون بالاتابكة وكان هؤلاء الاتابكة فى الاصل مماليك يجلبون من التركستان الشرقية ومن سهول القيبجاق (قازاقستان)..

وكلمة اتابك أو أطابك كما يقول القلقشندى(١) .معناها الوالد الامير. وذلك لان السلاطين السلاجقة كانوا يعهدون بتربية اولادهم الى من يثقون به فى حكمته وشجاعته .. وقد يتوفى السلطان وابنه صغير فيتولى الاتابك الحكم باسمه ونيابة عنه. واول من تلقب بهذا اللقب نظام الملك

---

(١) القلقشندى :صبح الاعشى ج٤ ص ١٨.

الطوسي (وهوفارسى الاصل على نقيض بقية الاتابكة الذين كانوا اتراكا) وذلك فى عهد السلطان ملكشاه سنة ٤٦٥هـ.. والاتابك يقوم فى كثير من الاحيان بتربية الامير او الامراء اولاد السلطان ، كمايتصرف فى امور الدولة .

وعندما ازدادت الحروب والخلافات بين السلاجقه استطاع بعض هؤلاء الاتابكة الاستقلال بحكم المناطق التى كانوافيها .

وهكذا اظهر الاتابكةفى مناطق مختلفه فهناك مثلاًاتابكة دمشق وماحولها وأتابكة ماردين واتابكية الموصل واتابكية الجزيرة .. الخ.

وقد ظهر من اتابكية الموصل عماد الدين زنكى الذى اشتهر شهرة واسعة فى محاربة الصليبيين فى الشام .. وقد تولى والد عماد الدين زنكى ويدعى آق سنقر حكم الموصل وحلب وحماه واللاذقية وحمص وذلك فى عهد ملكشاه الذى كان يحبه حبا جما.. وعندماتولى بركياروق ابن ملكشاه وقف آق سنقر مع ابن صديقه وولى نعمته يحارب تتش السلجوقى (عم بركياروق) وقتل اق سنقرفى تلك المعركة .

وقام السلطان بركياروق برعاية عماد الدين زنكى الذى كان طفلاعند وفاة والده آق سنقر واظهر شجاعة فائقه فى جميع المعارك التى نشبت مع الصليبيين .. كما استطاع أن يكسب رضا السلاطين السلاجقه وولاه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى امر البصرة ثم تولى شرطة بغداد والعراق ثم صدرمنشور السلطان باقطاعه الموصل والجزيرة والشام وفى سنة ٥٢٢ هـ استولى عماد الدين على حلب التى كان الصليبيون يهددونها..

وقد توثقت العلاقة بين نجم الدين ايوب وعماد الدين زنكى على اثر هزيمة الاخير فى معركةضد سلجوق شاه . وادى ذلك الى ظهور البيت الايوبى ودورهم العظيم فى المعارك الكبرى ضد الصليبيين الذين شنوا الغارات المكثفة على الشام(بمعناه الواسع الذى يشمل سوريا ولبنان والاردن وفلسطين)ومصر.

وقداستطاع نورالدين زنكى بتفانيه واخلاصه ان يصد الغارات الصليبيه على حلب وكثير من مناطق الشام وكان مستعدا للتنازل عن حكمه بشرط واحد هو ان لاتدخل قوات الصليبيين بلاد المسلمين . وقد قال قولته المشهوره لقاضية الذى خاف من ان تستولى قوات السلطان مسعود السلجوقى على حلب ان هم طلبوا منه المعونه ،قال : ان الصليبيين قد طمعوا فى البلاد، وان هم استولوا على حلب لم يبقَ فى الشام اسلام.وعلى كل حال فالمسلمون اولى بهامن الكفار."(١) واستطاع عماد الدين ان يحقق عدة انتصارات هامة ضد الصليبيين حتى لقبه السلطان السلجوقى بلقب الامير الكبير العادل المؤيد المظفر الاوحد عماد الدين زنكى بن آق سنقرنصير امير المؤمنين".

واستطاع نورالدين بن عماد الدين زنكى ان يحقق شهرة واسعة بمواصلته سياسة ابيه العادلة وبمحاربته الصليبيين والامراء المسلمين المتعاونين معهم.

وقدعمل نورالدين محمود زنكى على توحيد البلاد الشاميه ليستطيع محاربة الصليبيين واستولى على دمشق سنة ٥٣٩هـ/١١٥٤م ومدنفوده الى مصر بواسطة قواده من الايوبيين واشهرهم اسد الدين شيركوه وابن اخيه صلاح الدين .. وقد أصبح صلاح الدين بعد وفاة نور الدين زنكى أكبر زعيم اسلامى فى الشرق واستطاع أن يحقق الانتصارات الباهرة ضد الصليبيين بفضل اخلاصه ومثابرته وصبره.

واستطاع سلاجقة الروم (آسيا الصغرى)وسلاجقة الدانسمنديه الذين حكموا سيواس وقيصريه وملطيه أن يوسعوا رقعة الارض الاسلاميه فى الاناضول على حساب الامبراطورية البيزنطية وأن يحولوا أعدادا كبيرة من السكان طواعية الى الاسلام.

---

(١) د.حسن ابراهيم حسن:تاريخ الاسلام السياسى والدينى . الثقافى ج٤/٧٤ نقلا عن ابن الجوزى المنتظم ج١٠ ص ٦٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٥ .

الدوله الخوارزميـة

٤٧٠ – ٦٢٨ هـ /
١١٧٧– ١٢٣١م

كان انوشتكين أحد المماليك الاتراك الذين جلبوا من التركستـان الشرقية وخدموا فى بلاط السلطان السلجوقى ملكشاه. وترقى فى البـلاط حتى وصل الى درجة الطشتدار (أى المشرف على الاوانى السلطانيه)..وكانت نفقات هذا الجانب من ميزانية بلاط السلطان تغطى من خراجخوارزم.وهكذا تولى خراج خوارزم ثم صار حاكمالها سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م. وتولى قطب الديـن محمد ابنه الحكم بعده. فساسهابالعدل والحكمة .وقرب العلماء..وكـان انوشتكين وابنه قطب الدين يظهران الخضوع للسلطان السلجوقى ويرسـلان له الخراج ويحاربان معهحروبه.

ولماتولى اتسز عام ٥٢٢هـ(١١٢٢٧م) بدأيتطلع الى الاستقلال عـن الدولةالسلجوقية بعدأن وطد دعائمملكهووسع رقعةدولته.

وقامت الحرب بين اتسز والسلطان السلجوقى سنجر وانتهت المعركة بهزيمة اتسز، وذلك سنة ٥٣٢هـ.. ولكن مالبث سنجر أن اعادهللحكم بعد ان ثار سكان خوارزم علىالزالى الجديد الذى أرسلهبسبب ظلمه.. وأعلـن آتسز خضوعه لسنجر.

وفى سنة٥٣٦ هـ سار اتسز الى مرو عاصمة السلطان سنجر نفسهبعـد ان وطد دعائم ملكهفى خوارزم ودارت رحى معركة رهيبة انتهت بهزيمـة اتسز مرة اخرى وقتل أحد ابنائهوأستولى سنجر على خوارزم وأقطعهـا ابن أخيه غياث الدين سليمان شاه. واستطاع اتسز بعد عودة سنجر الـى مرو أن يسترد خوارزم مرة أخرى..

وحلت الهزيمة بسنجر لأول مرة فى حياتهعلى يد الخطا الاتـراك الذين يسلموا حتى ذلك الوقت ثم أسر سنجر وزوجته على يد قبائـل الغـز التركيه الشرقيه المسلمة.. واهتبل اتسز الفرصةفوسع رقعةمملكتهحتـى وصل الى مرو.

وهكذا تربع اتسز على عرش امبراطورية واسعة تمتد من جبـــال الاورال الى الخليج العربى ومن جبال السند الى حدود الفرات .

واستطاع اتسز ايضا ان يفتح اجزاء واسعة من أراضى القبجاق الذيـــن يسلموا بعدوهاجم مدينتهم سفناق على ضفاف سرداريا (سيحون) واستولـــى اتسز ايضا على مدينة جند الهامه وفى عام ٥٥١هـ توفى اتسز تاركا الخلفـــه ايل أرسلان دولة مترامية الاطراف قوية البنيان وأصبحت الخطبة تقـــرأ باسم ايل أرسلان بعد ذكر الخليفة العباسى فى خراسان وجميع بـــلاد ماوراء النهر ووسع ايل أرسلان دولته الى شمال أفغانستان على حســـاب الدولة السلجوقية والدولة الغورية .

وتولى بعد ايل أرسلان علاء الدين تكش بعد حرب تصيره بينه وبيـــن أخيه الاصغر شاه محمد واستطاع تكش أن يوسع رقعة حكمه حتى وصل الـــى العراق غربا بعد أن هزم قوات طغرل بن الب أرسلان السلجوقى وقتله فـــى المعركة سنة ٥٩٠هـ .. وأمامن جهة الشرق فقد استطاع علاء الدين تكـــش أن يوسع دولته على حساب دولة الخطا الكفار.. واستمر علاء الدين تكـــش فى الحكم حتى وافته المنيه عام ٥٩٦ فخلفه ابنه علاء الدين محمـــد الذى امتدت الدولة فى أيامه الى اقصى حدودها واتسعت من العراق غربـــا الى السند فى الجنوب الشرقى وتركستان الشرقية فى الشمال الشرقـــى .. واصبح بحر قزوين بكامله ماعدا شواطئه الشماليه ضمن الدولـــــة الخوارزمية.. ووصلت الحدود الشمالية للدولة الى البحر الاسود.بينمـــا وصلت الحدود الجنوبية الى الخليج العربى والمحيط الهندى .

وقضى علاء الدين محمد على الدولة الغورية فى افغانستان واضطرهـــا أن تذهب الى ممتلكاتها فى الهند وتقيم دولتها هناك بعد أن هزم غيـــاث الدين محمود الغورى سنة ٦٠٥ هـ واستطاع علاء الدين محمد ان يهزم الخطـــا الذين هزموه (ويطلق على الخطا اسم الكورخانيين واحيانا القراختائيين) .

وكانت حياة علاء الدين محمد مليئة بالحروب كما كان نفوذ أمـــه على الدولة قويا جدا..وكانت أمه تعتمد على قبيلتها التركيه القويه فـــى

تصريف الامور حتى ساءت الامور جدا بين الام وابنها وممازاد الامور تعقيدا أن علاء الدين كان فى خصومة شديده مع الخليفة العباسى الذى رفض أن يوليه السلطنه بدلا من السلاجقة .. وقامت الحروب بين خوارزمشاه علاء الدين محمد والخليفة العباسى حتى ضعفت قوات البلدين جميعا ..

وأراد خوارزمشاه أن ينصب خليفة من آل البيت البنوى من نسل الامام على وخطب له على منابر خوارزمشاه .. وأدى ذلك الاجراء الى تذمر كثير من رعيته الذين كانوا يكنون للبيت العباسى الولاء واتهموا علاء الدين محمد بالتشيع .

ورغم هذه الحروب والقلاقل فقد ظهر فى عهد علاء الدين خوارزمشاه كثير من العلماء الفطاحل الذين أولاهم رعايته وكان من أشهرهم الامام فخر الدين الرازى المفسر الاصولى الفقيه الشافعى الفيلسوف الطبيب الذى احتضنه علاء الدين محمد وقربه اليه .وكان السلطان علاء الدين اذا رغب فى رؤية الفخر الرازى ذهب بنفسه اليه .

وكانت نهاية عهد السلطان علاء الدين محمد على يد جنكيزخان الذى تعلل بقصة التجار الذين قبض عليهم فى اترار بتهمة التجسس وقتلهم حاكم مدينة اترار .. ولاشك أن عددا من الجواسيس كانوا ضمن أولئك التجار. فقد استطاع جنكيزخان أن يوطد مملكة قويه وشرهت نفسه لتوسيع رقعتها على حساب الدولة الخوارزمية التى كانت تعانى من الحروب والفتن الداخلية كما كانت تعانى ايضا من انقسام بلاط السلطان وجيشه الى فرقتين أقواهما بيد أم السلطان التى كانت تصرف الامور دون مشورة ابنها بل بلغ الامر بينهما الى حد الخصومة والقطيعة .

وزاد الامر سوءا عندما قام علاء الدين محمد بقتل رسل جنكيزخان الذين طلبوا منه تسليم حاكم اثرار ليقتل جزاء قتله تجار جنكيزخان (أوجواسيسه) .. وأدى هذا الأمر الى أن يقوم جنكيزخان باجتياح خوارزم .

وللأسف كانت سياسة علاء الدين محمد خرقاء من كل جانب فلم يستعد الاستعداد الكافى لمواجهته ولم يستمع لنصيحة ابنه جلال الدين منكبرتى

الدولة الطولونيه

٢٥٤-٢٩٢هـ /٨٦٨ - ٩٠٥

كان احمد بن طولون مؤسس هذه الدولة من الموالى الاتراك الذين جلبوا من التركستان الشرقية ومن منطقة القبجاق وعاصمتهم سغناق (والتى تعرف ايضا باسم سناق قرغان) والتى فتحت فيمابعد فى ايام الدوله الخوارزميه.

وقدأرسل احمد بن طولون وهو صغير الى بلاط الخلافة العباسية فى عهد المعتصم فشب وترعرع ضمن البلاط العباسى وتربى على الفروسيه وفنون القتال بعدأن أخذحظا وافرا فى دراسة القرآن والدين واللغة العربية.

وعندماتولى القائد التركى "باكباك" امر مصر استخلف عليها احمد بن طولون نيابةعنه وجعله على حاضرتهافدخلها فى شهر رمضان سنة ٢٥٤هـ بينماكان القضاء والخراج بين اشخاص آخرين حتى لاتتجمع السلطة بيد واحد منهم.

وقدتغلب احمد بن طولون على كثير من الصعاب واستطاع أن يؤسس دولة قوية زاهرة وخاصة بعدأن تولى امر مصر يارجوخ صهراحمد بن طولون الذى كتب الى احمد قائلا له :تسلممن نفسك لنفسك"واستخلفه على مصر كلها.

وعندما مات يارجوخ تولى احمد بن طولون حكم مصر مباشرة من الخليفة المعتمد الذى ولاه ايضاخراج مصر سنة ٢٦٣هـ.

ووسع أحمد بن طولون دولته فى مصر والشام وقضى على كثير من الفتن ولكنه اصطدم بالخليفة العباسى ورغم هذا فقداتسطاع أحمدبن طولون ان يتغلب على هذه الصعاب جميعا، لمايتميز به من الحنكة والدهاء والشجاعة وقوة البأس والكرم وحسن الادارة وتفقد احوال الرعية وقدشهدت مصر والشام فى عهده رخاء لانظير له. واهتم بالزراعة وعنى باقامة الجسوروحفر الترع وحصن الثغور وكون جيشا قويا خافه امبراطور الروم.كماكون اسطولا ضخما.

وكان كثير الصدقات حافظا للقرآن مجلا للعلماء ناشرا للعلم

واسس الكثير من المساجد والمدارس ومن اشهرها جامعة الجشهور والباقى الى اليوم فى القاهره.

وخلفه ابنه خمارويه (٢٧٠-٢٨٢) وكان محبا للترف ولكنه مع ذلك كان يحتفظ بجيش قوى اذ بلغت نفقات جيشه تسعمائة الف دينار فى كل عام.. وكان كريم النفس كثير الصدقات شديد الشغف بمساعدة المعوزين والفقراء.

وقد اشتهرت قصة زواج قطر الندى بنت خمارويه من الخليفه العباسى ومادفعه ابوها من اموال هائلة وبذخ على هذا الزواج حتى اصبح مصدرا للقصص الشعبى والادبى .

ولم يطل عمر الدولة الطولونيه بعد وفاة خمارويه حيث اشتدت الخلافات والقلاقل والحروب مما ادى بظهور دولة تركية اخرى هى الدولة الاخشيدية.

الدولة الاخشيدية ٣٢٣ ٣٥٨٠هـ/٩٣٥ - ٩٦٩م

قامت هذه الدولة التركية فى مصر والشام. وكلمة الاخشيد لفظة تركية تعنى الملك وكان اول من تلقب بهذا اللقب فى مصر ابوبكر محمد بن طغج بن جف بعد ان صد هجوم الفاطميين على مصر.

ويطلق لقب الاخشيد عادة على ملوك فرغانه.. والمناطق المجاورة من التركستان الشرقية. وقد سار جف (جدا الاخشيد) الى الخليفة المعتصم فاكرمه وجعل ضمن رجال بلاطه ثم بقى بعد ذلك فى نفس المكانة فى خلافة الواثق والمتوكل .

وظهر طغج مع الطولونيين ولما توجه الى بغداد ترفع عن النزول والترجل للسلام على وزير الدولة العباس بن الحسن الذى اوقع به عند الخليفة وكان من نتيجة ذلك الكيد ان حبس طغج مع ابنيه محمد وعبيد الله .وبقى فى الحبس حتى وفاته سنة ٢٩٤هـ فلما توفى طغج اطلق الوزير سراج ابنيه محمد وعبد الله فلزما خدمته ولكنهما استغلا الفرصة ذات يوم وثارا لابيهما فقتلاه.

واشتهر أمر محمد بن طغج منذ سنة ٣٠٦هـ حين تولى حكم طبريه بالشام فاحكم أمرها وقضى على الفتن والقلاقل فيها ثم انتصر على الجيش الفاطمى الذى غزا مصر (٣٢١ - ٣٢٤هـ) فامر الخليفة العباسى اضافة لقب الاخشيد لمحمد ودعى له به على منابر الشام ومصر سنة ٣٢٧هـ.

وحاول الخليفة الفاطمى ان يستميله الى جانبه ولكنه فشل فى ذلك ورغم ذلك قام الخليفة العباسى بعزل الاخشيد وارسال والى جديد الى مصر هو ابن رائق . وغضب الاخشيد وخرج بجيش لجب لملاقاة ابن رائق فهزمه وتوقف عن الدعاء للخليفة العباسى فى خطبة الجمعة لفترة من الزمن . واستطاع الاخشيد أن يحكم مصر واجزاء واسعة من الشام حكما قويا رغما ما اعتور ذلك العهد من حروب وقلاقل .

ولما توفى الاخشيد محمد بن طغج تولى الامر بعده خادمه كافور الحبشي وصار وصيا على العرش لان ابن الاخشيد محمد كان لايزال طفلا.. واستمر كافور فى الحكم حتى بعد أن كبر الغلام انوجور.. ولما توفى انوجور تولى اخوه السلطه ابو الحسن ظل كافور يدير دفة الحكم بحكمة ودها .

ولما توفى كافور عاد الامر للاتراك الاخشيد ولكن هذه الدوله أصابها التفكك بسبب الصراع على السلطة وانتهت بدخول جوهر الصقلى قائد الفاطميين الى مصر سنة ٣٥٨هـ.وتميزت الدولة الاخشيدية بظهور عدد من الشعراء والعلماء مثل القاضى ابوبكر بن الحداد ومحمد بن موسى المعروف بسيبويه المصرى وابوعمر الكندى والحسن بن زولاق ..كما زار المتنبى مصر فى عهد كافور راغبا فى ولاية احدى المقاطعات .. فلما لم يوله هجاه أقذع الهجاء.

وقد استطاع الاخشيديون أن يرتقوا بالزراعة فى مصر وارتفع الخراج الى اكثر من أربعة ملايين دينار مع ارتفاع مستوى المعيشة وتحسن حالة السكان .. وكان كافور الاخشيدى يجعل رواتب دائمه لمستحقى الصدقة بلغت نصف مليون دينار سنويا.(١)

---

(١) د.حسن ابراهيم حسن:تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى ج٣/٣٠٤

كما استطاع الاخشيديون أن يكونوا جيشا ضخما بلغ تعداده أربعمائة الف مقاتل سوى الحرس الخاص والعبيد والمماليك الذين كان يزخر بهم قصر الاخشيد.

ولاشك أن عهد الاخشيدين كان شبيها الى حد كبير بعهد الطولونيين وكلاهما من الأتراك الشرقيين ..

وقدتميزت عهودهما برخاء مصر وزيادةخراجها وازدياد قوتهاالعسكرية كماظهرت فيهانهضة عمرانيه باذخة صحبتهانهضة علميه وأدبية.

وقداستطاع الطولونيون والاخشيديون أن يصدوا غارات الفاطميين وأبقوا على مصر ضمن مذاهب السنة.. ولم يتعصبوا لمذهب دون آخر من مذاهب السنةوكان القضاة يحكمون حسب مذاهبهم السنية.. وقداشتهرقضاة هذا العصر بالنزاهة والاستقامة وعدم المحاباة ونبغ منهم القاضى بطار بن قتيبه الذى كان من أشهر القضاةفى زمنه.(١)

---

(١) المصدر السابق ج٣/٢٨٧

(٢) المصدرق السابق ص٣١٢

الدولة التيمورية

يعتبر تيمورلنك من أكابر عظماء العالم وقادته وقدبرز تيمورلنك الذى يعرف أيضا باسم تيمور كركن من قبيلة برلاس التركية كمايؤكد ذلك المستشرق فامبرى بينمايعتقدجماعة من المؤرخين أن تيمورلنك ينتسب الى تومان خان الذى يعتبر الجد الاكبر لجنكيزخان وكاراشار نويان (١)

وقد أسلم كاراشارنويان كمايذكر ذلك بابر فى يومياته (٢) .. وكان بابر يؤكد نسبة تيمورلنك من امه الى جغتاي بن جنكيزخان .. ومن المعروف ان الاسرة الجغتائية حكمت منطقة التركستان وجزء اكبيرامما يعرف اليوم باسم الاتحاد السوفيتى لعدة قرون من الزمان.

وقد استطاع تيمورلنك (٧٦٥-٨٠٧هـ) (١٣٦٣-١٤٠٥م) ان يقيم امبراطورية باذخة سيطرت على معظم ماكان معروفا من العالم القديم..ووصلت جيوشه الى موسكو ووارسو كما استطاع أن يهزم السلطان العثمانى بايزيد الاول هزيمة منكرة..

وكانت سمرقند فى عهده تتيه على المدن بماحوته من فنون وصناعات وبمن سكنهامن العلماءوالادباء..

ورغم بطش تيمورلنك وكونه من طغاة العالم الاأنه شجع العلم والعلماء كماشجع الفنون المعمارية بدرجة مذهلة..

وعندما مات تيمورلنك سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٥م خلف لاولاده امبراطورية باذخة مترامية الاطراف تمتد من وارسو وموسكو حتى بلاد العرب فى الجنوب ومن حدود الصين فى الشرق حتى الاناضول فى الغرب شاملة بذلك الاتحاد السوفيتى باكمله ومعظم أراضى الدولة التركية العثمانيه والعراق والشام

---

(٢) بابرهو مؤسس الدولة التيموريه فى الهند والتى عرفت باسم الامبراطوريه المغولية.

وايران وأفغانستان وباكستان واجزاء من الصين(التركستان الشرقية المعروفة باسم سينكيانغ والمقاطعات الغربية من الصين) وكشمير والتبت وشمال الهند.

وقد تقاسم اولاده من بعده هذه الامبراطورية الضخمة واقتتلوا عليها وسرعان ماعاد احفادجنكيز خان المسلمون لاستعادة اجزاء واسعة من أرضهم السابقة.. ومع هذا بقى التيموريون يحكمون التركستان(بلادماوراء النهر) لمدة قرن من زمان .

وتميز حكم التيموريون (شاه رخ والوغ بك وابوسعيد التيموري) باهتمامهم الكبير بالعلم والعلماء وانشاء المدارس والمستشفيات والمراصد الفلكية .وكان الوغ بك شديد الشغف بمختلف العلوم .وقد اسس الجامعات الضخمة فى بخارى وسمرقند وهراة وبلخ.. وكان الوغ بك يدرس بنفسه للطلبه فى هذه الجامعات .

واشتهر السلطان حسين بايقرا وهومن البيت التيمورى بحبه للعلم والشعر والادب وحكم هراة من عام ٨٧٤ الى عام٩١٥هـ(١٤٦٩-١٥٠٦) .وكانت هراة (فى شمال غرب افغانستان) فى عهده كعبة القصاد من العلماء والادباء والفنانين والشعراء. وازدهرت فى عهده العلوم والفنون والاشعاروصناعة السجاد والرسوم الفنية الرائعة التى كانت تزين الدواوين والكتب .وقد ظهرت فى ايامه الشاهنامه المزينة باللوحات الرائعة . وكذلك ديوان السعدى ونظامى وجامى .. وترقى فن المعمار فى عهده الى مستويات لم يبلغها من قبل .

وفى اواخر عهد السلطان حسين بايقرا ظهر فرع جديد للبيت التيمورى فى أفغانستان أسسه محمد بابر.. وكون دولة باذخة مركزها كابل ثم انحدر منها الى الهند حيث كون الامبراطورية الباذخة التى عرفت باسم الامبراطورية المغولية والتى استمرت تحكم الهند حتى عهد الملكة فيكتوريا ملكة المملكة المتحدة . وكان آخر ملوكهم بهادرشاه

الذىنفاه الانجليز الى رانجون والذى توفى سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م٠

ولقد اقامت الدولة التيمورية فى الهند حضارة اسلامية عظيمة ونشـــرت الاسلام الى أعماق القارة الهندية وبقيت آثارها الخالدة تدل على عظمـــة الاسلام وعظمة هؤلاء الملوك الذين حكموا شبه القارة الهندية بالعـــدل والتسامح الدينى بصورة لم يسبق لهامثيل ٠

الدولة العثمانية

تعتبر الدولة العثمانية اعظم الدول التى اخرجتهالنا التركستان الشرقية قاطبة ،وأطولها عمرا وأعظمها نفعا للاسلام والمسلمين .

يرجع الاتراك العثمانيون الذين أسسوا امبراطورية باذخة والتى استمرت من القرن السابع الى القرن الرابع عشر الهجرى، الى قبيلة قابى وهى احدى قبائل الغز التركية التى هاجرت من التركستان الشرقية بسبب الضغط المغولى الى المغرب صوب الدولة العباسية .

وكانت هذه الهجرة بقيادة احد قوادها البارزين ويدعى سليمان.وقد قتل هذا القائد عندنهر الفرات قرب مشارف مدينة حلب فى سوريا وانقسمت هذه القبيلة بعدوفاته الى قسمين قسم يريد العودة الى وطنه والقسم الثانى اتجه نحوآسيا الصغرى بقيادة ارطغرل بن سليمان . وقد التحق ارطغرل بخدمة علاء الدين الثانى السلجوقى سلطان قونيه وساعده فى جهاده ضد البيزنطيين فأقطعه فى مقابل ذلك اقليم المستنقعات مقابل الحدود البيزنطية ..

وكانت هذه المقاطعة الصغيرة النواة الاولى للدولة العثمانية . الباذخة . وقد وسع ارطغرل مقاطعته التى بلغت مساحتهاحوالى ٣٠٠٠كم٢ عند وفاته ٦٨٧هـ/ والتى كانت عاصمتهاسكود وتولى الحكم بعد ارطغرل ابنه الغازى عثمان الذى يعتبر بحق موّسس الدوله العثمانية والتى تنسب اليه .فقد استطاع ان يوسع رقعة مقاطعته الصغيرة بالتوسع نحو بحر مرمرة وجعل عاصمته "قرة حصار"بدلا من سكود الصغيرة .وعند وفاته كانت مساحة الارض التى كان يحكمها اكثر من ٨٠٠٠كم٢.

وتولى اورخان بن عثمان الحكم بعد ابيه (٧٢٦-٧٦٣هـ) وفتح بورصة وضرب النقود باسمه لاول مرة وجعل عاصمته بورصة وشيدفيها المنشآت المتعددة الرائعة واكثر من فتح المساجد والمدارس وفتح ازميت وانقره وعبر الدردنيل الى البر الاوربى عند غاليبولى ..

واستطاع اورخان أن يستولى على أراضى الدولة البيزنطية فى آسيا الصغرى .. وأن ينشر الاسلام فى تلك البقاع الواسعة التى احتلها وعندما وافته المنيه كانت مساحة مملكته تزيد على مائة الف كيلومترمربع .

وفى عهد مراد الاول ٧٦٣-٧٩١هـ(١٣٦٢-١٣٨٩) توسعت الدولة العثمانية توسعا كبيرا واستولى على ادرنه وفيليبيا وكلاهما فى بلغاريا .

وفى عام ٧٦٥هـ - ١٣٦٤م ارتاع الاوربيون ونظموا حملة صليبية بسبب نداءات البابا وتداعت أوربا لحرب هذه القوة الاسلامية الفتية الصاعدة . وكانت تلك الحملة بقيادة ملك المجر وبجيش قوامه مائة الف مقاتل وكان الجيش العثمانى قليل العدد حيث لم يزد افراده عن عشرة آلاف مقابل ..ومع هذا انزل الله نصره على جنوده المجاهدين الصابرين وانهزم الصليبيون هزيمة نكراء .

وارتاع الصليبيون لهذه الهزيمة فتنادوا لاقامة حملة أخرى للانتقام من العثمانيين وخرج جيش كثيف من مجموعة من الدول الغربية وتقابل الجيشان فى "جيرمن " سنة ٧٧٢هـ/١٣٧١م وكانت حصيلة المعركة هزيمة أخرى للصليبيين وانتصارا ساحق للعثمانيين وقد مكنهم هذا الانتصار من الاستيلاء على "صوفيا" وأجكودرا" وبوصنة ووصلوا الى بحر الادرياتيك وأدى هذا التوسع للجيش العثمانى داخل أوربا الى فزع العالم الاوربى المسيحى وتنادو الاقامة حملة صليبية ثالثة والتقى الجيشان فى صحراء قوصوه سنة ١٣٨٩/٧٩١م وللمرة الثالثة تمت هزيمة الصليبيين .

وبينما كان مراد الاول يتجول فى ساحة المعركة اغتاله احد الموتورين فذهب الى ربه شهيدا .وعندما تولى بعده السلطان بايزيد كانت أراضى الدولة العثمانية قد وصلت الى وسط أوربا وبلغت مساحتها اكثر من أربعمائة ألف كيلو مترمربع .

ولم تسكت أوربا وللمرة الرابعة تجمعت جيوش ١٥ دولة أوربية لمحاربة المد الاسلامى الصاعد على يد الدولة العثمانية الفتية والتقى الجيشان فى معركة نيقبرلى سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٦هـ وكانت نتيجة المعركة الضارية

نصراموّزرا للجيش العثمانى بقيادة السلطان بايزيد.

ولم تستطع جحافل اوربا ان تنتصر على هذا السلطان المسلم ولكن حاكما مسلما اخر استطاع ان يخفع السلطان بايزيد ويهزمه ،هوتيمورلنك، ٨٠٥هـ/١٤٠٢هـ .وانتهتت المعركة باسر بايزيد وموته فى الاسر بعد عام واحد وحزنا.

وتمزقت الدوله العثمانيه لفترة محدودة مالبثت ان عادت بعدها لتواصل مسيرتها القوية على يدمحمد الاول بن السلطان بايزيد وعندما جاء مراد الثانى استطاع ان يعيد لهذه الدوله قوتهاحتى وصلت جيوشه المجر مما ادى الى قيام حملات صليبيه جديدة وقد استطاع السلطان مراد الثانى هزيمتها.

وقدتنازل السلطان مراد الثانى لابنه محمد الثانى (محمد الفاتح) الذى لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من العمر ليتفرغ هوللعبادة.

وعندما علمت اوربا بذلك جردت حملة صليبيه ضخمه..وارسل محمد الثانى لوالده تلك الرسالة المشهورة قائلاله :" ان كنت انا السلطان فاننى آمرك بقيادة الجيش وان كنت انت السلطان فدافع عن مملكتك".

آنذاك قام السلطان مراد الثانى بواجب الجهاد وهزم جيش الصليبيين البالغ اكثر من مائة الف جندى .. وآراد مراد الثانى بعدهذه المعركة أن يعود الى عزلته فابى عليه ذلك رجال الدولة والجيش واستمر فى الحكم لحين وافته المنيه سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م.

وتولى محمد الفاتح الشاب القوي الجري" الحكم بعد والده (٨٥٥-٨٨٦هـ/١٤٥١-١٤٨١م)واستطاع هذا السلطان الشاب آن يفتح القسطنطينية التى قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم:"لتفتحن القسطنطينيه ..فلنعم الجيش جيشها ولنعم الامير أميرها".. وبفتح القسطنطينية أنتهت الامبراطورية البيزنطية الى الأبد. وقدتم ذلك الفتح المبين سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م وعامل محمد الفاتح النصارى بكل شهامة وكرم على عكس مايفعله

الصليبيون عندمايظفرون بالمسلمين. وقدجاء فى كتاب محمد الفاتح الى أهل القسطنطينية بعدأن أقسم بالله خالق الارض والسماوات بانه يعطي الاهالى المسيحيين حريتهم فى العبادة والتجارة قائلالهم :يستطيع الاهالى أن يديروا أموالهم وبيوتهم ومتاجرهم وبساتينهم ومراكبهم وتجارتهم وأن يحافظوا على أولادهم وزوجاتهم كمايشاؤون. وهم أحرار فى بيع تجارتهم فى جميع أنحاء البلد..وسيحافظ على كنائس وصلوات أهل المدينة "وانني لن أحول كنائسهم الى جوامع ولن آخذ أبناءهم الى الانكشاريه (الخدمة العسكرية آنذاك) ولن أكرههم على الدخول فى ديننا. وأعدهم باننى لن اعاملهم كعبيد، بل سأحافظ عليهم وأدافع عنهم كما احافظ وادافع عن نفسى".

وقد برّ بوعدة.. وهكذا كان المسلمون بصورة عامة رحماء بالنصارى يعاملونهم معاملة كريمة فى جميع مراحل الفتوح الاسلامية منذعهد الراشدين الى يومنا هذا.. وهم على العكس من ذلك لايرقبون فى مؤمن الا ولاذمة. وعندما تسنح لهم الفرصة يقومون بذبح النساء والاطفال والشيوخ والضعفاء. وكم هى جرائمهم فى الحروب الصليبيه فى الشام وفى بيت المقدس. كم هى جرائمهم فى الاندلس.. وكم هى فظائعهم فى روسيا القيصرية التى اجبرت المسلمين على التنصر أوالقتل تماما مثلمافعل الاسبان ..وكم وكم من مآسى لاتزال تحدث حتى اليوم..

واستطاع هذا السلطان الشاب أن يوسع رقعة الامبراطورية العثمانية حتى بلغت عند وفاته اكثر من مليونى كيلومترمربع .

وفى عهد السلطان سليم الاول ٩١٨-٩٢٦/ تمت فتوحات كثيرة واستولى على ارضرورم ومرعش واذربيجان .. وعندمامات اخرخليفة عباسى المتوكل على الله فى القاهرة جمع العلماء واعترفوا به خليفة للمسلمين .. وبذلك كان أول خليفة للمسلمين من غير قريش .. واستمرت الخلافة بعدذلك فى آل عثمان لمدة ٤٠٥ سنه وانتهت بحكم اتاتورك العلمانى .

ووصلت الخلافة العثمانية اوج مجدها فى عهد السلطان سليمان القانونى

(٩٢٦-٩٧٤هـ) وقدحكم هذا السلطان القوى المثقف ٤٨ سنة قضاها فى الفتوحات والاصلاحات الادارية والقانونية حتى لقب بسليمان القانونى .. ووصلت جيوشه الى ابواب فينا وفتح البوغدان وبلغراد والمجر وردس واجزاء من ايران وشمال افريقيا .. وكانت مساحة الامبراطورية العثمانية عند وفاته ١٣ مليون كم٢.

وعندماتولى سليم الثانى استطاع أن يوسع رقعة الامبراطورية وبلغت الامبراطورية أوج اتساعها فى عهد خليفته مراد الثالث اذ بلغت المساحة آنذاك اكثر من ٢٠ مليون كم٢.لقدكان للعثمانيين الفضل بعد الله سبحانه وتعالى فى الآتى :

١ - ايقاف المد الصليبى الحاقد حيث بدأت اسبانيا والبرتغال والدول الاوربية الأخرى تمد نفوذها الى الشمال الافريقى المسلم كما أن هذه الدول بدأت تهاجم الدول العربية الضعيفة وخاصة المناطق الساحلية وقد حاربت الدويلات الصغيرة هجمات البرتغاليين واستطاعت بمساعدة الاساطيل العثمانية صد كثير من هجماتها.

٢ - توسيع رقعة البلاد الاسلاميه داخل اوربا ذاتهاونشر الاسلام فيها.

٣- ايقاف المد التوسعى للامبراطورية الروسية القيصرية والحاقدة على الاسلام.

٤ - ايقاف نفوذ الدوله الصفوية الشيعية التى احتلت العراق والتى لم يكن بالامكان ايقافها لولا وجود الخلافة العثمانية.

٥ - نشر العلم وانشاء المدارس العديده والمساجد والمستشفيات.

ومع كل هذه الخدمات الجليله فقد بدأت هذه الدولة فترة ركود ثم فترة تدهور وتجمعت أوربا كلها لاقتسام ميراث الرجل المريض كما أسموه..

وعندما استطاعت خناجر اوربا ومدافعها وحرابها أن تقضي على هذه الدوله الاسلامية أنهارت دويلات العالم الاسلامى بالمملكه وأصبحت كلها

تقريبا مستعمرات للدول الاوربية . ولاتزال الدول الغربيه حريصة كل الحرص على ابعاد الاتراك عن منهج الاسلام لانهم يعرفون مدى اخلاص الاتراك لدينهم .. واخشى ماتخشاه هذه الدول الغربية والشرقية (الرأسمالية والشيوعية) هوعودة جذوة الاسلام الى قلوب المسلمين عامة والاتراك خاصة .

ولكن كيدهم سيخيب وسيعود المسلمون الى دينهم مرة اخرى وسيكون للاتراك فى ذلك دور رأى دور باذن الله تعالى .

المراجـــــــع

١) ابن الاثير (علي بن محمد الشيباني) : الكامل في التاريخ . دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الخامسه ، ١٩٨٥م .

٢) ابن خلكان (احمد بن محمد بن ابي بكر) : وفيات الاعيان وانبـــاء أبناء الزمان ، مكتبة النهضه المصريه ، القاهره .

٣) ابن بطوطـه (محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي) : رحلة ابن بطوطـه ، دار التراث ، بيروت ، ١٩٦٨ .

٤) ابن كثير (ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير) : البداية والنهايـــة دار ابن كثير ، بيروت لبنان بدون تاريخ .

٥) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ، الفضل الاول نشوء الدولة العثمانية ، مكتبة دار الانبار ، العراق ١٩٨٧ .

٦) أحمد زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية . المكتبة التجاريه الكبرى ، القاهـره ١٣٥٤هـ .

٧) د .احمد محمود الساداتي : تاريخ الدول الاسلاميه بآسـيا وحضارتهـا دار الثقافه ، القاهره ، ١٩٧٩ .

٨) احمد بن يحي البلاذرى : فتوح البلدان ، دار الكتب العلميه ، بيروت ١٩٧٨ .

٩) أحمد (ابو العباس) القلقشندى : صحيح الاعشى في صناعة الانشاء ، القاهـــره .

١٠) احمد مختار العبادى : في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضـــه العربيه ، بيروت ١٩٧١ .

١١) احمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضاره ،دارالبحوث العلمية ، الكويت ١٩٧٥ .

١٢) بارتولد (فاسيلى فلاديد) : تركستان من الفتح العربي الى الغزوالمغولي ترجمة صلاح الدين عثمان ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت ١٩٨١ .

١٣) بارتولد (فاسيلى فلاديد) : محاضرات في تاريخ آسيا الوسطى ،ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم .

١٤) بارتولد (فاسيلى فلاديد) ومجموعة من المستشرقين : دائرة المعارف الاسلاميه ،كتاب الشعب ، القاهره .

١٥) البار (محمد علي) : المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، دار الشروق ، جده ١٩٨٣ .

١٦) البار (محمد علي) : أفغانستان من الفتح الاسلامي الى الغزو الروسي دار العلم ، جده ١٩٨٥ .

١٧) د .حسن احمد محمود : الاسلام في آسيا الوسطى ، الهيئة المصرية العامه للكتاب ، القاهره ، ١٩٧٢ .

١٨) د . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي مكتبة النهضه المصريه ، القاهره ١٩٦٧ .

١٩) د . السيد الباز العريني : المماليك ، دار النهضه العربيه ، بيروت لبنان (بدون تاريخ) .

٢٠) د . سعد بن محمد حذيفة الغامدى : اوضاع الدول الاسلامية في الشرق الاسلامي ، كلية الآداب ، الرياض ١٩٨٣ الطبعه الثانيه .

(٢١) السيوطي عبد الرحمن بن ابي بكر : تاريخ الخلفاء ، المكتبة التجاريه الكبرى ، القاهره الطبعه الرابعه ١٩٦٩ .

(٢٢) د .أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمه دار المعارف ، القاهره ، (بدون تاريخ) .

(٢٣) النرشخي (محمد بن جعفر) : تاريخ بخارى ، تعريب د . امين بدوى ونصر الله الطارازى ، دار المعارف بمصر ، . . . . .

(٢٤) د . الشناوى (عبد العزيز محمد) : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، مكتبة الانجلو المصريه ، القاهره ١٩٨٠ .

(٢٥) شكيب أرسلان (لوثروب المؤلف الاصلي) : حاضر العالم الاسلامي ، دار الفكر ، بيروت .

(٢٦) د . فؤاد عبد المعطي الصياد : المغول في التاريخ ، دار النهضه ، بيروت ١٩٨٠ .

(٢٧) عيسى البتكين : قضية تركستان الشرقيه ،مؤسسة مكه للطباعه

(٢٨) السيد عبد المؤمن السيد اكرم : اضواء على تاريخ توران ، مطبعة رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة (بدون تاريخ) .

(٢٩) محمود شاكر : تركستان الصينيه (الشرقيه) ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعه الثالثه ١٩٧٦ .

(٣٠) محمود شاكر : تركستان ، دار الارشاد ،بيروت ١٩٧٠ .

(٣١) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانيه ، تحقيق احسان حقي ، دار النفائس ، بيروت ١٩٨١ .

(٢١) السيوطي عبد الرحمن بن ابي بكر : تاريخ الخلفاء ، المكتبة التجاريه الكبرى ، القاهره الطبعه الرابعه ١٩٦٩ .

(٢٢) د .أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمه دار المعارف ، القاهره ، (بدون تاريخ) .

(٢٣) النرشخي (محمد بن جعفر) : تاريخ بخارى ، تعريب د . امين بدوى ونصر الله الطارازى ، دار المعارف بمصر ، . . . .

(٢٤) د . الشناوى (عبد العزيز محمد) : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، مكتبة الانجلو المصريه ، القاهره ١٩٨٠ .

(٢٥) شكيب أرسلان (لوثروب المؤلف الاصلي) : حاضر العالم الاسلامي ، دار الفكر ، بيروت .

(٢٦) د . فؤاد عبد المعطي الصياد : المغول في التاريخ ، دار النهضه ، بيروت ١٩٨٠ .

(٢٧) عيسى البتكين : قضية تركستان الشرقيه ،مؤسسة مكه للطباعه

(٢٨) السيد عبد المؤمن السيد اكرم : اضواء على تاريخ توران ، مطبعة رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة (بدون تاريخ) .

(٢٩) محمود شاكر : تركستان الصينيه (الشرقيه) ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعه الثالثه ١٩٧٦ .

(٣٠) محمود شاكر : تركستان ، دار الارشاد ،بيروت ١٩٧٠ .

(٣١) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانيه ، تحقيق احسان حقي ، دار النفائس ، بيروت ١٩٨١ .

٣٢) ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي : معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت بيروت ، (بدون تاريخ) .

المراجع باللغة الانجليزية

1- Israeli R: Muslims in China, Scandinavian Institute, Asian Studies, Monograph Series No. 29, Curzon Press Ltd., London, 1980.

2- Keene H.G.: The Turks in India, Idrah Adabiyat, Delhi, India, 1972

3- Minorski J: The Turks and Caucasus in the Middle Ages, Variorum Press, London, 1978.